نوبة صراع..

يبحثُ عن نافذةٍ يطلُّ منها إلى فضاءٍ خالٍ من الدخان ، يريدُ أن يَرى الأشياءَ على حقيقتِها ، في المشهد كلبٌ يَعوصُ كلّما أخترقتْ شظيّةٌ من الأغصان اليابسة جسدَه وهو يركضُ يميناً وشمالا ، كذلك كان الهجومُ لتشويه مشهد الغابة بالشّظايا ، وماذا بعد ياصديقي ؟ يقول : أرى اغصانَ الأشجار تتكسّرُ و تَتطايرُ من شدَّة العَصف ، القذائفُ المختلفة تتساقط عشوائياً لتُبعثرَ الأجساد وتحيلُها إلى أشلاءَ ، هناك كلابٌ تتهارشُ يغرزُ احدُها أنيابَه المدببة بالآخر فيدميه ، جولاتٌ من العراك المستمر حتى يسقطَ أحد الخصوم صريعاً فيأكلونَه ، بعد أن غابَ الأحياءُ وقفتُ أنظرُ الى آثار دماء تم لعقها ، ،هناك بُقعٌ حمراءَ فوقَ بياضِ الثّلجِ ، مدّ أحدهُم كفّه ، كان بياض لحيته الطويلة كبياض الثلج أعطيته دينارا واحدا لكنّي ندمت ، ورحت أفتش في عقلي " أكنتُ مخطئا؟ فوجدتُ أنّه خدعني، لم يكن فقيرا بل كانَ نصّابا ، النصبُ والأحتيال كالدخان يعكّرُ الأجواءَ فتضيعُ معالمُ الأخلاق ، كنتُ أتوجسُ الأرض المعتمةَ بأقدامي ، أخشى أن تعترضُني حفرةً تبتلعني ، وحيدٌ أنا في غابة الأوهام ، أسمعُ عواءَ الذئاب يأتي من أعماق الظلام ، أتنفّسُ الخوفَ فأرتجفُ ، كنت ألحظ ارتعاش اصابعه وجفنيه وهو يتحدّث ، حدقات عينيه تدور ، يوشكُ أنْ يُغشى عليه ، فبادرتُ برش الماء البارد على وجهه ، لكنَّه وقعَ الى الأرض وبدأتْ أطرافُه ترتعش وعضلاتُه تتقلّص ، وضعتُ شظيّة من الأغصان اليابسة بين فكّيه وتركته لحالته.

طينة لزجة..

يداهمها وجه زميلتها كلّما نظرت إلى المرآة ، يسكنها شعور الغيرة منها ، تلازمها آفة الحسد ، تتأمّل امتلاء شفتيها وبروزهما الى امام ، تقول : يتمنّى الناظر اليها لو يقطف منهما قُبلة ، ثم تشيح بوجهها منزعجة عن المرآة ، تفكر بالتحرر من تلك العقدة ، تأوي الى فراشها بعد ان تقرر اجراء عملية تجميل ، وما أن تغمض عينيها حتى تتهاطل عليها الأحلام ، تصعد الى المسرح مع ملكات جمال العالم ، يتعالى التصفيق ، زميلتها مع جمهور المتفرجين ، تخرج لسانها مرّة أو تمسك بآذانها بكلتا يديها مرّة أخرى أستهزاء وسّخرية بها ، تنزل اليها لتصفعها فتقرر الجنة شطب اسمها من المنافسة..

ترى شخصيتها في فيلم رومانسي مع عمر الشريف(*)، يتبادلان مشاعر الحب والقبلات ، بينما تقف زميلتها خلف زجاج النافذة ضاحكة ، يتعالى الصّراخ في الفيلم وتشتعل أكداس الغلّة في نزاع على الأرض ،تستيقظ مفزوعة وهي تتصبب عرقا ،

تذهب صباح اليوم التالي الى المصرف ، تنظر اليها موظفة المصرف بأعجاب وهي تخفض قوامها الرشيق، تنزل رأسها بمستوى الفتحة الزجاجية المقوّسة تمد عنقها لتقرّب وجهها الجميل منها ، تطلب سلفة بمبلغ من المال لتراجع جراح التجميل...

الطبيب: لكنّك لاتحتاجين الى جراحة تجميلية.

هيَ : تُخرج صورة زميلتها وتعطيها له.

الطبيب: ماهذه؟

هيَ: هذه صورة زميلتي ، انظر الى شفاهها ، أريد مثلها.

الطبيب: ولكن كل انسان خلقه الله بانسجام في ملامح وجهه وأعضاءه الظاهرة ،وقد لاتليق شفاهها لوجهك ؟

هيَ : لكن صورتها تحاصرني كلّما اقف أمام المرآة ، وتطاردني في أحلامي!

الطبيب : انت تعانين من حالة نفسيه وسأحيلك الى الطبيب التخصصي.

هي : ارجوك يادكتور أريد شفتين كشفتيها!!

الطبيب بعد التفكير بالمردود المالي يوافقها مع عدم قناعته..

كان يدور بمسامعها كلاما عن الآثارالتي يحدثها حقن البوتيكس في الشفاه ، لكن الذي يسمع ليس كمن يعيش الحالة ، العصبية والتوتر ، شعور بالغثيان والدوخة ، ألم في الوجه والرقبة وأعراض أخرى كثيرة..

لكنها واجهت كل تلك الآثار لأجل تحقيق غايتها والشعور بالراحة فيما بعد .لكن النتائج كانت على غير ارادتها ، تورمات في وجهها تشبه البالونات الحمر ، ضيق في التنفس وخشونة الصوت ، سقوط في الجفن العلوي وبمرور الوقت تزداد حالتها سوء...

فشلت كل العمليات لأعادتها الى حالتها الطبيعية ، وتراكمت عليها الديون حتى اصابها الجنون

وصارت تجوب الطرقات وهي تصيح " قتلتني شفاهك يازينب.. قتلتني شفاهك يازينب.

(*)عمر الشريف -: فنان مصري وسيم وجميل اشتهر بالأفلام الرومانسية وبلغ درجة الممثل العالمي رحمه الله.

ضد مجهول..

يهرع الأطباءُ لفحص المصاب، يلتمسونَ فيه بقيةَ حياة ، لأن جثّته لاتزال دافئة ، ثمّ يقررون نقلها على جناح السّرعة الى غرفة العمليات..

لم يمضِ وقتٌ طويل حتّى حضرَالمحققُ الجنائي ، العلامات الظاهرة على جسده بوضوح ، آثار ضرب بالسّوط على الظهر والبطن ، كدمات وتمزقات في الجلد ، ثقب احدثه اطلاق نار من مسدّس صغير ، واستقرتْ الرّصاصة في الجمجمة ، أكد الطبيب العدلي أنّ سبب الوفاة هو الأنتحار..

كان الميّتُ يسمع مايدور من حديث فوق جثّته " لكنّه يفقد القدرة على الكلام ، أو قد يتكلّم ولكنّ لايسمعه أحد!!

المحقق يسأل الطبيب العدلي : ماهودليلك على ان سبب الوفاة هو حالة انتحار؟

الطبيب العدلي : وردني اتصالا هاتفيا من شهود عيان يخبرني بذلك.

المحقق : هل عرفتهم او عرفت هوياتهم؟

الطبيب : كلا ، ولكن جهة ما ، تعرفهم " طلبت منّي إن أقرر أنّ سبب الوفاة هو الإنتحار.

المحقق بعد أن يعلِمَ تلك الجهة يُلملم أوراقه ويترك المستشفى على عجل"

•في أوراق المتوفي..

أُشعلُ أنا على طول الخط سراج الكلمات ، فتنير ردهات العقول ، وتثير حنق الجاهلين ، فتُؤجج نيرانَ الحقد في صدورهم ، وتضطرّهم أنْ يبحثوا عن وسيلة لتغييبي ، لإنّ كلماتي تؤلمهم ، تصبّ الرصاص في رؤوسهم ، صارت مقالتي اليومية هاجسهم ، فيعتقدون أنّها تُهدد وجودهم" ، بينما أرى وطنا عصفت به ريح عقيم ، فأرفعُ صوتي بوجه العاصفة ،

وأصرخُ كفّى ، جعلتم ايامنا ذابلة تدوسها اقدام القدر الثقيل، وتدوخُ في دروبها الرؤوس، تتكرر الصباحاتُ بالفوضى، وأخبار النزاعات والصراعات، ونحن لانملك إلا الأستسلام للموت البطئ، لم يبق لنا سوى الأحلام يحاولون سرقتها، لأنها النافذة الوحيدة التي نطل من خلالها الى العوالم الأكبر والفضاءات الأوسع ، نتجول في مدن الأرض، باحثين عن نفحات من أمل ولحظات من سعادة .ثم نستفيق من الحلم على ذات الأخبار الملعونة والأيام الملغومة ، إلى متى نتوجّه اليهم وفي آذانهم صمم لايسمعون ، وعلى أعينهم غشاوة لايُبصرون ، أنتم .. نعم أنتم أيها السّادة ، تزرعون حقدا ، وتشيعون جهلا ، تناصبون أحباب الوطن العداء، وتقطعون عنهم سُبلَ الرّجاء ، أحدثتم دمارا وحرائق ، ثمّ زحفتم على مدننا ونفختم في أجوائها اليأس والقنوط..!!

***شهود الإثبات..**

تحرّك بسيارته ، طبع قبلة على خدّ زوجته وأولاده ، وهو يتأبّط حقيبةَ مقالاته اليومية ، ويتجه قاصدا مقر الجريدة التي يعمل فيها ، يقول زميله الذي صعد معه من منطقة أخرى ، أنّه كان ينظر في المرآة الى عجلة رباعية الدفع تتبع سيارته ، فيُساوره القلق ويُخبرني أنّه يشعر بنهايته ، طلبت ان ابقى معه محاولا تهدأته ، لكنّه أقنعني بقوله " لكل أجل كتاب ، ولامهرب من الأجل ، فأنزَلني قريبا من موقع عملي ، وبعد ساعة تقريباً ‘، وردني اتصالا هاتفيّا من مستشفى الطب العدلي يخبرني اغتياله.

عاصفة الندم..

يتعذّب ضميرُها بسياط الخيانة لكنَّها تُخفي الصراخ ، تتظاهر بالبشاشة وتبدي لزوجها التودد ، وبالمقابل هوَ يُدرك تصنّعها للأبتسامة ولايجد حيلة تنتشله من كابوس الشّك والظنون.

هي متعة كأطلالة شمسٍ عابرة من خلال السّحب الثقيلة المتراكمة ، أو كرذاذٍ المطر، لحظات من الآنتعاش ، على أنغام موسيقى هادئة من تأليف ذلك الموسيقار ، ناعمة كنعومة

شعره الأشقر ، ومذاق العسل المنسكب من كلماته ، دقائق من الأستسلام للجمال والمتعة تتبعها سنين من النّدم..

هنا دُفنَتْ بذرةالأشتهاء العابر في تربة الألم الصّامت فأنبتت شوكا ، وكأنّها رأتْ حلما...، تراءى لها فيه ذلك الموسيقار ، في حفلة خطوبة صديقتها يحيطها بذراعيه ، في موجةٌ عارمة من مؤلّفاته الموسيقية الرّاقصة ، لتعزفها فرقتة الموسيقية ، نفحاتٌ من عطره تضوع في دورانه ، شعور بالأنتعاش يرفعها عن الأرض كأنها تطير ، يضغط بقوّة على ذراعها العاري ، ضغطا تتأوّه له ألما ولذّة ، تتخيّل أن الجدران قدهربت والسّقف توارى في الفضاء ، وهما كنورستان تطيران فوق الماء ، في هذه الأثناء يوقظها زوجها وهي تنظر إلى وجهه بذهول وكأنها تقول له : لماذا سرقت منّى ذلك الحلم ؟"

..

كلّما تعاشر زوجها تشعر وكأنّ الشوك يغرز نهاياته المدببة في جسدها ، فتتقيّأ أسفل السّرير، يتحسّس زوجها رائحة القيء فيتقيأ في الجانب الآخر ، يكبُر العذاب في خيانة الحلُم ، وبمرور الأيام تتعفّن رغباتهما ببعض ، وتذوي العواطف المتبادلة، ويُمسي الأحتفاظ بالحب كمن يشعرُ بالهواء ، يتحسسه ، يتنفّسه ، ثمّ يولّي هاربا مع عاصفة النّدم.

كان ينظر الى بطنها وهي تكبر ، وتغالبه الظّنون إلى العذاب ، وتزدحم في رأسه الأفكار والتساؤلات ، وكلّما يكبُر الجنين يتعالى في رأسه صراخ العار ، يقف حائراعلى ضريح وجوده المعتم ، يسأله للخلاص من الوهم : هل لي بأطلالة من نافذة الغيب تخبرني عن نسب الجنين ؟ ، ظلّ يحدّق في الوقت ، يمدّ أصابع الوهم مبهوتاً في عيني الزّمن، ينتظر الولادة ، لحظات من الترقّب والقلق يستهلّ بعدها الجنين صارخاً وقد فارقت والدته الحياة ، وصار فحص الحامض النووي له ممكنا..

خروج عن النّص..

أعاد عليه مخرج المسرحية المشهد عدّة مرّات ، يُطالبه بالأندماج أكثر مع الشخصية ، أن يتقمّصها أكثر، وينفعل بها ، لكنّه في لحظة يجد ما يحول بينه وبينها ، فينفصل عنها قبل أن يكتمل المشهد.

المشهد..

فرحان مقهور رجل بسن الأربعين ، طويل القامة ، ضعيف البنية ،يلف الكوفية على رأسه الصغير ، تبرز الجعود على وجهه تحت الأضواء الكاشفة ، وفي كل ملمح من ملامحه تعبير ما " لايستطيع اخفاءه ، يعتقد بعقله الباطن ان الناس يكرهونة ، ويحاولون محو وجوده والإنتقام منه ، ويظنّ أنُّهم يريدون قتله ، في هذه اللحظات يخرج السّكين من غمدها ، فيدرك اللذين حوله الشّر بسلوكه فيبتعدون عنه ، بينما يعيش هو في ظلام دامس ، يتحسس يديه ملوثتين بدماء اللذين قتلهم..

يتحدّث الناس عن فرحان مقهور ، الرجل الطيب المسكين ، حيثما شاهدوه في السّوق ، أو جالساً في المقهى ، هو غارق في المثاليات ، يهرع ليُساعد من يحتاج المساعدة ، يخفف عن الآخرين بعض أثقالهم ، يُميط الأذى عن الطريق ، ويرفع مخلفات الطعام من الأرض ليُلقيها في حاوية النفايات..

المشهد الثّاني..

حفزته مشاعره النبيلة ذات يوم أن يترك الشاي الّذي طلبه على الطاولة ، يُغادر المقهى ويفزع لمساعدة المرأة الأربعينية في حمل بعض أغراضها ، للتخفيف عن كاهلها ، رافقها حتّى أوصلها مسكنها ، دعته للدخول فتبعها الى المطبخ ، لمح السكين على منضدة الطعام ، فحملها ودونما تردد غرزها في بطن المرأة الأربعينية ، فتلطّخت يداه بدمها..

-شعور بالفشل...

شعر المخرج بالفشل في توجيه الممثّل لأداء الدور ،فانصرف لدراسة الطب النفسي والتعرف على اساليب فصل احدى الشخصيتين المتنازعتين في شخصيته عن بعضهما..

ولدى تطبيق السلوك اكتشف أنَّ فرحان مقهور يستجيب للتوجيهات بعقله الظاهر ، ويرفضها بعقله الباطن ، ذلك الجزء الذي يتحكّم بسّلوكه ، أحلامه ، رغباته المكبوتة ، ويختزن انفعالاته..

ذلك الجزء الذي يخلو من التمثيل في شخصيتة ويعبّر عنه بصدق دون النظر للناس ولا حتّى ماتقوله السّماء ، وقانونه التمتّع بتحقيق الشهوات ، ولذلك انصرف لمعالجته..

خروج عن النَّص...

في يوم العرض ، وقف فرحان مقهورعلى خشبة المسرح ، تنفرج جعود وجهه تحت الأضواء ليبدو مبتهجا ، يوصل للجمهور شعوره بالفرح وكشف مايجول في عقله الباطن " من رغبات ، فيعبّر عنها دون تردد يصيح بأعلى صوته:

أنا كنت موهوما

أنا لم أقتل أحدا...

أنا الّيوم أشتهي قمراً ينام في احضاني

أُريد أن أمرر كفّي على بياض جلده الرقيق

عاريا أحضنه ولن أقول بعدها مايكون

.....

.....

ولمّا أكمل المشهد

صفّق له المخرج"

ثمَّ أعقبَتْ ذلك عاصفة من تصفيق الجمهور.

غَمامةُ الملك..

ينبعثُ ذات يومٍ عاصف ، مع الغبار الأحمر للصّحراء ، يجتاحُ المدن َفيعتريها الغموض ، وكلّ الأشياء المتحركة تبدو أشباحاً ، يظنّ الناسَ في البدايّة ، أنّ الغمامةَ السّوداء فوق رأس الملك نوماني ، تحملُ الماءَ والجليد ، مشحونة بالرعد والبرق..

ستسقي الزّروع وتُدر الضّروع

بعد قليل نرى البرقَ ، ثمّ نسمعُ الرّعدَ وصوتَ المطر..

كانَ مشراق الحدّاد في هذه الأجواء يسمعُ عواءَ الذئاب ، يأتيه من عمق الوادي ، تتراءى له في العتمة قطعانَ الضّباع والخنازير تتنفّسُ الظلامَ في تجوّالها هناك ، أنواعٌ ضخمةٌ من الأفاعيَ السّامّة ، تنساب بين الأحراش ، يصيبه العجَب حين يدعو الملك نوماني النّاسَ للرقص طرباً على أصوات عواء الذّئاب ، ويُطلق عليها تسمية بلابل الليل .

ثمّ يعجب أكثرحين يرى النّاسَ يستجيبون له بالنزول إلى بطن الوادي ، وهم يعلمون أنّ الذي يذهب لايعود...

يقوم الخدم والعبيد بتهيئة فعاليات المهرجان الليلي ، يجلس الملك نومان على كرسي جلالته" ، يغطي كفه شعر كثيف وحين يمدّه تبرز أظفاره الطويلة مدببة الأطراف، يترقّب العبيدُ إشارتَه لبدء الفعاليات ، وفي كل ليلة تستعرض أمامه كراديس من رجال عراة ، تتبعها كراديس من نساء ثمّ أطفال!!

يرقص الجميع على اقدام الموت ، يرفعون اذرع الرعب ويخفضونها ، ينخرطون في طابور الصّراخ مجبرين ، وكلّ ينتظر دوره ، تخزيق الرجال، تقطيع اجسادهم مع النساء ، تثقيب الاجساد الطريّة للأطفال ، مشاهد تعذيب تتكرر لتحقيق ساديّة الملك وشهوته...

تتحرّك الجموع من أهل المدينة ذات ليل ، رجالا ونساء وأطفالا إلى بيت مشراق الحداد ، لوضع خطة للخلاص من الملك وحاشيته وعبيده ، وهم يؤمنون بقوة الحدّاد وحكمته وشجاعته في حسم هذا الأمر الجلل..

الخطّة تقضي بأن يخرج اهل المدينة عن بكرة أبيهم ، يحمل كل فرد مالديه من سلاح ، أدوات حراثة الأرض والمناجل والمهاريس ، ثمّ يضع الحدّاد كل موجودات مصنعه من العدد والمطارق بأيدي شباب المدينة ، ويُوصى الجميع بأن يُشكّلوا طوقاً يحيط بطريق الملك ، ماعدا الجهة التي يدخل منها عندعودته فجرا ، وحين يتوسّط الطوق هو وأعوانُة يتم الهجوم عليهم من كل إتجاه .

للُّعبَة..

يجوبُ الأطفالُ ساحلَ البحر ، يبحثونَ عن انواعٍ من الحصى ، يختارونها ملساء ، مصقولةً ، صغيرة ومدوّرة ، وغالباً مايقودهم سماع اصوات وشوشة الماء وتسابق الموج إلى الأسترخاء ثمّ النوم، وأحيانا يصيبهم التوهان عند النظر المستَمر إلى سِحْرِالبحر..

تُسمّى قريتهم على السّاحل بالقرية العمياء ، ولايجد الصّبي عبود تفسيرا مناسبا لصفة العمى التي أُلصقتْ بالقرية ، لأنّ وجهها كما يظن " يخلو من العينين أصلا ومنذ زمن بعيد!!

عبود جيوبه مملوءة بالحصا عادةً ، ينافسه اقرانه بجمع كميات أكبر منه للتفوّق عليه، حتّى تكونت في القرية العمياء كميات كبيرة من الحصى...

شيخ القرية الّذي نصّب نفسه قاضياً يفصل في المشاكل ، يفرض ارادته عنوةً على الجميع ، يُحوّط شخصه بمجموعة من القتلة المأجورين ، للوقوف بوجه أهل القرية ، بعد أن تيقّن أنّهم يكرهونه..

ولكن لماذا ؟..

يتداول رجال القرية احاديث كثيرة عن حياته الخاصّة ، يعلمون أنّه مطعون أخلاقيا ، ويعاني من الشّذوذ الجنسي ، ونساء القرية يتحدثن عن زوجته سليطة اللسان ولعوب ، الصّبيان يُنفسون عن ضغوط المراهقة بالحديث "عن علاقتها مع زميلهم عبود) أبو الحصو(، وأنه الوحيد الذي يدخل إلى بيت الشيخ ويخرج وقتما يشاء...

يغيب عبود مع الشيخ لبعض الوقت في كل مرة ، بحجة أنّه يجلب له أنواع نادرة من الحصى المثقوب يلضمه كمسبحة ، ويحتفظ ببعضه على أنَّه أحجار كريمة ، وذات ليل تأخّرا قليلا ، وحين فتحت زوجته الباب أصابتها الدهشة فيما رأت " ، وولّى عبود هاربا ليغيب عن الأنظار..

لم تُفارق تلك الصّورة خيال زوجة الشّيخ ، وهي تعاني من مجافاة زوجها ، وضعفه في معاشرتها ، فتُرسل بعض الصّبيان في طَلَب عبود للحضور ، حتّى أدمنتْ حضورَه كلّما غاب الشّيخ....

***عبود ينمو..**

يزداد عبود شعورا بالثقة ، ينمو عقله أسرع من جسمه ، ينظر إلى نفسه في المرآة ، يتطاول في صورته ، فتتوالى على خياله مشاهد المتعة في بيت الشيخ ، يغدق عليه الأموال ، حتّى صار يرتدي ملابساَ فاخرةَ ويأكل طعاماَ شهياً..

)عبود أبو الحصو (كما يعرفه الناس ، أصبح وجهاً من وجهاء القرية ، هجر جمع الحصى وابتعد عن أقرانه ، باتَ يكبُرُ بداخله إحتقاره للشيخ والأستخفاف به ، فيتمرد عليه في داخله وهو يحلم بالمشيخة ، يمتطي ظهر فرسه الشهباء ، يرتدي عباءته الموشّاة بالذّهب ، يرفع رأسه بالكوفية والعقال إلى أعلى متفاخرا ،وكأنه يستعرض في دروب القرية مما يُثير حفيظة الشيخ ويدفعه لوضع خطّة للتخلّص منه...

***الشّيخ يُخطط...**

يبتدأ الشيخ خطة المراقبة ، ويُجنّد غزوان صديق عبود الذي يُظهر له الحب ويضمر له الكره والحسد ، وكثيرا ماوشى به الى الشيخ ، يجالسه ويسّر له بخصوصياته ، لكنّ الخيانة تسري في نفسه كما تسري خلايا السّرطان في الجسد، تعيش معه ، يتألّم منها ، لكنّه لايعي طريقا لعلاجها " ، يواصل الشّيخ بث عيون أخرى ترصد عبود في كلّ مكان ، حتى توصّل إلى وجود علاقة غرامية يقيمها مع أرملة ثلاثينية..

•ملحمة الحصى

أمر الشيخ أعوانه ، وسخّر جنوده وآلياته ، لجمع أكوام الحصى المنتشرة هنا وهناك ونقلها إلى ساحة القرية ، فاستبشر الناس خيرا ،وظنّ البعضُ أنّه سيقوم بتعبيد الدرب الرئيس والدروب الفرعية للقرية وظنّ آخرون أنه سيستخرج الحصى المثقوب بعد أنشاء معمل أنتاج المسابح وصياغة الأحجار الكريمة بالفضّة فماذا جرى؟..

ذاتَ ليلٍ عاصف ، يختلطُ فيه الظلامُ بالغبار ، فتبدو السّماء بلونٍ أحمر ، جلب أعوانُ الشيخ عبودَ متلبّسا بالزّنا مع المرأة الثلاثينة ، بعد أن أشهد عليهما واودعهما السجن ، ثمّ أرسل من يُنادي في النّاس يالتجمهر غدا في ساحة القرية لرجمهما بالحصى حتّى الموت.

فجوة..

يشعر أنّ فراغا ، ، يستقرُّفي رأسه ، ، ويتوقع أن لايُدرك الآخرين وجود مثل هذا الفراغ في رؤوسهم ، ، ولكن لا يجرؤ أحد مثله على الإفصاح عمّا يرى، ويحسبها شجاعة منه وقدرة على التكييف مع الواقع ، تمر أمامه في موكب جنائزي ، جماجم للثّيران المجنّحة محمولة على أكتاف العفاريت ، تتبعهم قطعان من الذئاب تدلق ألسنتها المتقاطرة وتكشف عن أنيابها المدببة..

في الطريق ألى قلعة الملك مواقد عظيمة يتكدّس فيها فحم ، تتصاعد منه الأبخرة والغازات التي تتوق للأشتعال ،..

على الجانب الآخر من ضفة النهر، قطيع من الخنازير يظهر انعكاسها وهي تهرول على سطح الماء ، هل كان ذلك المشهد حُلُما ؟ كان ممكنا لولا أن القطيع يمر فوق صورة لطائر القلق الأبيض يمدُّ عنقه الى أمام بمنقاره الأحمر، يقف فوق العشّ أعلى شجرة الكاليتوس * اليابسة ، الصورة غير ثابتة بسبب حركة الماء التي احدثتها نسمة هواء..

اسمه سعيد لكنّه ليس سعيدا ، لأنّه تزوّج أرملة عنكبوت برّي، مات متخوما لأنّه أكل الكثير من طعام الفقراء ، ولم يجد دواءً مناسبا للحرام كانتْ تُجرّعه السّم يوميا ، حتّى انتشر في جسمه ، فأوجب الأطباء تقطيع أوصاله ، وأوصوا بعدم رميها للكلاب خشية أن تنتقل اليهم العدوى..

زوجتُه ذُبالة ، فاتنة بجمالها ، جسدها بض ، وجهها مدوّر ، كانت تُغري المارّين بغمزات عينيها السّود الواسعتين ورموشهما الطويلة ، تُقيم في حانة ألعابرين إلى المنطقة الحمراء ..

تعرّف سعيد عليها بعد ان عبَّ زجاجتين من خمر ، فأوقعته في شراكها ، وتشبّثت بجسده ثمّ احتوته بأرجلها ، وغرزت خرطومها في شريانه فأفرغته لتُشعلَ نارا في جسده ، كان يقرأ في عينيها حبّ النار ، فيتجسّد لها ناراً كلّما رغبت أن تسجد له وتشتهي الصلّاة في أحضانه..

ذُبالة وسعيد تحالفا على تشكيل كتلة من لحوم البشر ، للحصول على أكبر كميّات من اللحم في حارة القصّابين ، كانا يصلان الليل بالنهار، لوضع الخطط في اقتناص الشباب اليافعين ، وتصديرهم إلى معمل تعليب اللحوم الطّرية..

من أينَ إكتَسَبتْ ذُبالة هذا العنف ؟

يُجيب الخائفون "وهم يعلمون الحقيقة " : لاندري ، وينسجون حولها الحكايا والأساطير ، فمنهم من يقول انها حفيدة آلهة النّار، وآخرين يظنّون أنّها بنت الشيطان الأكبر ، أفرغت ْ البحر من الأسماك ،وبنت على ضفافه جرفا من الصّخر بدلا من السّاحل الرّملي..

يكاد سعيد أن يكون أكثر الناس معرفة بها ، لأنّها جارته لعقود من السّنين ، ويرى بداخلها الحقد يتناثر شررا على الجميع ،

تظن ذُبالة أنها ستبقى خالدة ، لأنها سيدة هذه الأرض ، وبإمكانها أن تبني إمبراطوريتها من الجماجم والعظام ، فتتعايش مع الوحوش البريّة والوحوش الطّائرة ، فتغري المغفلين لأرواء عطشها للدّماء..

سأم سعيد رائحة جثث القتلى ، فقررأن يُنهي حياته مع ذُبالة ، و يتخلّص منها ، فأغراها لمرافقته الى أكوام الفحم ، ورغّبها بالاقتراب ثمّ ألقى مشعلا وسط الأبخرة المتصاعدة والدّخان ، فسجدت حتّى أكلتها النّار.

*** •الكالتيوس :شَجَرٌ ضَخْمٌ ذُو أَوْرَاقٍ طَوِيلَةٍ، وَأَغْصَانٍ كَثِيفَةٍ، يُزْرَعُ فِي الْمَنَاطِقِ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، تُسْتَعْمَلُ أَوْرَاقُهُ فِي الطِّبِّ وَبِالأَخَصِّ لِمُعَالَجَةِ الأَمْرَاضِ الصَّدْرِيَّة) .المعاني(**

حدث فعلا..

اغمض ُعينيَّ، حين يخوض بأدواته المدببة مكامن الألم ، لم تكن تنقص وجهي سوى الابتسامة ، ولأنّي نسيت كيف ابتسم ، تصوّرت الأمرخيالاً ، او وهماً ، ووجدت مهربا من لحظات العذاب ، أوغلت والوهم في دهاليز رأسي ، ورحت أطرق أبوابه بابا بابا ، خطوة واحدة تفصلني عن باب الهواجس ، حين كانت الرياح تعبث بالاشرعة ، اسمع صرير الدواسر الخشبية ،وارتطام الموج العنيف ، كنت اختبئ في القعر حين اجتاحت العاصفة قاربي الضعيف، لم يحتمل ذلك الاندفاع المجنون للموج ، فتمزّقت اشرعتة ، وتفككت الواحه بعد ان فقد دواسره ، اندفع جسدي الى الأعماق المظلمة، وشعرت انّي انشطرت الى نصفين أنا وهو ، غرقت انا وتفتّح له باب الضياع..

باب الضياع..

فتح عينيه على شمس ساطعة ، في وسّط صحراء رمالها صفراء ، تحدّها سماء بلون أحمر ، وأينما يولّي وجهه يلفحه الهجير ، كان عنوان وجوده هو العطش ، وحيثما يجد نبتة عاقول خضراء يمتص منها الماء ، كان يشعر بالمرارة لكنّه يتجرّعها مجبرا ، ليطيل من الزمن الذي يفصله عن الموت ، كان حلما ان يشاهد حركة في هذا السكون ، اويسمع صوتا يدل على الحياة ، ومع تنامي الم الجوع الذي ينهش احشاءه ، يضع خدّه على الارض ليتسمّع ، أو ينظر الى افق الرمال لعلّه يرى يربوعا اوحرباء يسدّ بها جوعه ، ويديم بالتهامها وجوده ، تيبست احشاءه من العطش ولاظلّ يستظلُّ به ، وتلك الشمس التي يرمزون بها الى الحريّة صارت ْوبالاً عليه ، يفغر فاه فينغرزالشوك في فكّه السفلي ،وتنبت اسنان العاقول المدببة في لثته، ينشطر ،فأجد نفسي مجبرا لمغادرته الى باب الفرج..

باب الفرج..

لملمتْ العاصفةُ عباءةَ الرياح ، فتوقفتْ اصواتَ الصفير ، وطقطقةَ صفائح السقوف المعدنية ،سادَ الصّمتُ في المكان ، ولمْ يبقَ ألّا رذاذَ المطر ينثُّ على زجاج النافذة ، وبعض الفراشات تختبئ في اماكن شبه مقفلة ، فُتحت النافذةُ للفراشات ، فازدهر سقف الغرفة ، ورحتُ ارقبُ الوانَها مستلقيا على ظهري ، بعد أن أطفأ طبيب الأسنان الأضواء الكاشفة عن وجهي ، سحب ذراعيه وأشار إليَّ بالنهوض.

الفراشة

قصة قصيرة

هبطتْ في هوّة عميقة ، شعرتْ بخفّة ، حين تحررت عن جسدها الّذي تحوّل إلى مايُشبه الحجارة ، ، يجفّ فيه ماء الحياة فيموت الأخطبوط بداخله ، وتتوقّف أذرعه عن الحركة ، فيسكن الألم..

تتحوّل جمانة إلى فراشة في روضة ، تهفو بأجنحتها فوق الأزهار ، تمتص الرحيق ، وتسعد بلقاء والديها واقاربها ، اللذين سبقوها كفراشات ، بشتّى الألوان ، الوان تتغير باستمرار الى الأجمل فالأجمل..

يقول سعيد أنّ الفراشات تبادلني الحب وكانت تأتيني هيَ في المنام، تحوم في صدري فاشعر بخفة وزنها ، وهفهفة اجنحتها ،ثمّ تقف لتمرر خرطومها في نياط قلبي ، لتزقّ الرحيق ، وتنشر عبقه ، فتنتابني رعشة واتلذّذ بعطرها ، ثمّ تسألني عن ميس وعلي ، وجميع الاسرة تلتئم اليوم ، حتى اتمنى ان لا استفيق من الحُلم..

ميس وعلي كلما جلسا معا لتناول طعام الافطار في الغرفة المواجهة لحديقة البيت ، يُلاحظان فراشة تقف على زجاج النافذة..

بابا بابا انظر إلى تلك الفراشة كم هي جميلة ، كنت اتردد في البوح بأي كلام عن طيف زوجتي الذي يراودني في الحُلُم ، ولعلّها تخبر ميس وعلي في المنام " عن اشياء سعيدة ، لأنّي أُلاحظ البشاشة على وجهيهما كلما يرد ذكر امهما ، يَهمس احدهما للآخركلاما لاافهمه ،ويبدو أنّه يبعث على الفرح ويترك آثاره على ملامحهما.

ذات مرّة اتفقا على مسك الفراشة ، فخرجا بسرعة ، لكنّها طارت على بعد خطوة منهما ، ولمّا تبعاها الى الحديقة ، وجدا مجموعة من الفراشات بشتّى الألوان، تتنقّل بين الازهار..

علي : أيعجبك ياميس ان تكوني فراشة ؟

ميس :يعجبني! أكيد ولكن ليس دائما ، لانّي سأفقد وجودي مع صديقاتي في المدرسة.

علي : ستتمكنين من رؤيتهنّ كفراشة.

ميس : صحيح " لكنّهن لايريننني كميس.

كلّما يشتد الصداع ، يتعالى الصراخ ، ويحل الضجيج في البيت ، بكاء وعويل ولديها ، تناديهما فيمسك كل منهما طرفا من عصابة الرأس ، يشدّانها بقوة لبعض الوقت ، ثمّ يطلقانها..."

اصطدام..

يمدّ عصام يده لإيقاف رنين المنبه ، لأنّه سبب له ازعاجا ، وأيقظه من حُلم وردي) كما يقولون (، يحاول أن يزمّ جفنيه ، وكأنّه يريد الأمساك بالحلم الهارب ، يتعثّر كفّه بجسم الساعة المنضديّة ، فتسقط على الارض، ويتهشم زجاج واجهتها ، ينتبه بسبب الصّدمة أنّه على موعد يومي مع نهال ، ويتوقّع انها تنتظره حاليا في موقف الباص ، يزيح الغطاء عن جسده ، وعلى عجل يسحب قدميه من السرير وينزلهما الى الأرض، ودونما شعور يدوس على الزجاج المتهشّم ، فتنغرز نهاياته المدببة في باطن قدميه ، يرفعهما على مهل وينطلق الى مفاتيح اضاءة الغرفة، وعلى ضوء المصابيح يعقم الجروح ويلف قدميه بالشاش، يرتدي ملابس الدوام الرسمي على عجل ، ثمّ ينطلق مسرعا باتجاه موقف الباص..

نهال """كالماء الرّاكد ، لم تخرج يوما في جولة سياحية ، لكنّها تجد نفسها اليوم ودون ارادة منها ، في غابة كثيفة الاشجار، يجري تحتها الماء في السّواقي والجداول ، تتجوّل في الممرات الخضراء ، تتمتع بالمناظر الجميلة ، تسمع اصوات الطيور وتغريدات البلابل ، تشم العطور المنبعثة من الازهار ، تنظر يمينا وشمالا ، الى الغزلان تلعب فيما بينها ، السّناجب تتسلّق الأشجار بخفّة

ورشاقة ، وفي ذروة متعتها ، يبرز لها اسد الغابة من بين الاشجار ، وهو يزأر ويكشّر انيابه ، يتجه نحوها ، تحاول الهرب ، تركض وتشعر أنّه يركض خلفها ، تطفر لتعبر السّاقية ، فتستيقظ على صوت رنين هاتفها...

-ألو مَنْ المتّصل؟

-أنا عصام ، هل انت في اجازة عن الدوام ؟

-نهال :ألم يخبرك أحد ان اليوم عطلة رسمية؟

تصدُّع القوارير1*

تريد وردة لاتذبل ، وربيعاً لايزول ، تتمنى لوانّها تحافظ على رشاقتها ،تطالبها بانجاب الأطفال على ان لاتكبر بطنها ، تتمناها عروسا على الدوام ، ولايعجبك ان يتقدّم بها العمر ؟،اسمح لي سأقولها بوجهك " أنت أناني!!

في بداية علاقتهما ،تبادلا نظرات الحب ، نظرات تتوسّل العناق ، والقبلات المتبادلة، وتستعجل ليلة العرس ، ينفق عليها في فترة الخطوبة بكلتا يديه، ولايرفض لها طلبا ، حتّى الى مابعد شهر العسل بفترة ، وبمرور الوقت وكثرة الانشغالات ، تنحسر مشاعر الحب ،وتعاني القلوب حالة الجفاف..

كانت زوجته قد سبقته بالحصول على شهادة) البكالوريوس 2*(، والتعيين كمعيدة في الجامعة ، مما اثار حفيظته وجعله يشعربالنقص ، ويفقده حلقة من حلقات الأستعلاء، شعرت برغبته في مواصلة الدراسة للحصول على شهادة) الماجستير 3*(، فكانت تنفق عليه من راتبها ، حتى حصل على الشهادة وتعيّن استاذا جامعيا معها في نفس الجامعة ،وضعت ثروتها تحت تصرفه ، تعبيرا عن ثقتها بعقليته التجارية ، وعدم امساكها للمال دونه ، وهدفها التوسعة على اولادها ، بنتان وولدان..

•اربعة بطون ، في كل بطن معاناة الحمل ،

واوجاع الولادة ، تطبع آثارها على جسدها ،بما لاتشتهي..

أوَتريد من جسدها ان لايتغيّر ، وترغب الزواج من أخرى ؟ ثمّ إنّ الأخرى ليست حوريّة ، وتعلّم أن جسدها سيتغيّر بمرور الوقت!!

أهي رغبة في تغيير الأجساد؟ لاتقل لي ابحث عن مشاعر الحب ، فزوجتك التي ضحّت وعانت لأرضائك هي اولى بالحب من غيرها.

***

1*القوارير :جمع قارورة ، وهو تشبيه اطلقه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلّم على النساء في معرض حديثه فقال)رفقاً بالقوارير(رواه الأمام البخاري.

)2*البكالوريوس (الشهادة الجامعية الأوليّة اربع سنوات فمافوق بعد الاعدادية.

)3*الماجستير (شهادة عليا بعد البكالوريوس.

مكامن الوجع

اتسلقُ شجرةً مثلا ، لو كان عدوّي اسداً في غاب ،أو اهربُ منه بأية وسيلة ، لو كان عنصراً ارهابياً، يتعقّبني بسلاحه ليقتلني وأناعزلاء ، فكيف اهرب وعدوّي داخل جسمي ، ينهش أحشائي ، ويمزّق

نفسي ؟

شعرتُ بالعجزفي الاجابة ، وأنا أتحسسُ نبراتَ الألم في صوتها ، وهي تتأوّه ، وتشير الى مكامن الوجع في بطنها ، يعيش معها ، ويتسلّط على حياتها في كل لحظة ، آلام وتقلصّات ، تقيؤ وغثيان ،وفقدان للوزن بمرور الوقت ، ، وجع واحد لكنّه يلخّص كتلة من الاوجاع في حياتها ، ابتدأت بزواجها من شخص لاتحبّه ، بل كان خيار والديها في ان تتزوّج قريبهما.

-تتذكّرين كلّ فصول حكايتك؟

-بلى ، وتعلمت الاحتواء لكلّ شيء ، عشرون سنة من الزواج ، كانت ثمرتها ثلاثة اولاد "..

-لكنّك لاتحبينه فكيف انجبت منه ؟

-لعلّي كنت أقوم بواجباتي كزوجة ، بل اكثر من ذلك كنت اعمل في شركة لتوفير حياة افضل لأولادي.

-وكان زوجك راضيا على ماتقومين به؟

-أكيد ، لابد ان يكون راضيا لأنه ينفق ماله للهو ومعاقرة الخمر والنساء ."

-تغضبين ؟ لابد انك كنت تغضبين "

-لكنّي اكتم غضبي ، واضحي بسعادتي لأجل الأبقاء على حياة الأسرة..

الزوج موجود صورة فقط ، يعيش في عالمه ، ولايبالي لما حوله ، الولدان لم يتعباني كما اتعبتني البنت ، لما بلغتْ اربعة عشر عاما ،ولهيب المراهقة في هذا العمر يتأجج ، أغراها ابن الجبران بالحب الجميل اللذيذ ، ثمّ بدا بعد ذلك فاسداً حين انكشف المستور ، وبان حملها غير الشرعي.

تعاني الأم وهي تتوسّط عاصفة الصّراع، من تهكّم الناس ومحاولة ابن الجيران التهرّب من مسؤليته ،وهي تحاول الخروج من دوامة الأفكار ، وانهاء الفضيحة بأي شكل ، لوحدها تتحمّل الوجع ،لأنّ زوجها لايبالي بما يجري!!

فخرجت حينها بأفضل الحلول ،في ان ترفع دعوى قضائية ،

وبعد ثبوت عائدية الجنين من خلال فحص الحامض النووي ، وجد ابن الجيران نفسه مجبرا على تصحيح خطأه بالزواج من ابنتها.

وانجبت حفيدا لأمّها ، لكنّ وقتها لم يزل متوحشاً ، هائجا في ازمته ،ولم يعد يحمل هوية واضحة المعالم كما كان في زمن مضى ، صارت مواجعها وحوشاً تكشر عن أنيابها ، وتزمجر في وجهها على الدوام، ازمة لاتُحتمل وسرطان امعائها لايزال يصرخ بالألم.

ثقوب في قصبة

(1)

أنا وراعي الأغنام...

شعرتُ أن كل شيء حولي قد تغيّر ، الناس بلا ملامح ، سجناء داخل أنفسهم ، كلٌّ منهم يلفّ حوله شرنقته ، يعتكف إلى همومه ومشاكله ، فعزمت الخروج إلى فضاء فسيح ، كان صوت الناي يأتي من أعماق الأفق ، فمشيت نحوه ، أُصغي إلى صوته يبث الحنين والشّوق، فيثير شجوني ، وتتسارع خطواتي الى شاطئ البكاء ، بلغت مصدر الصوت متعثرا بالدموع ، فإذا به راعي الغنم ، وكأنّي أرى كل الاشياء تغتسل بالبكاء ، الأغنام والأشجار والطيور، فتروح عن نفسي احزانها.

(2)

القصبة والراعي...

قابلني بنظراتُه ، فلمستُ إعجابَه ، كان يتأمّل قامتي الممشوقة ، بين قامات كثيرة ، أحبني فأحببته ،

اختارني ففرحتُ ، لكنّه قطعني عن أقراني ليتملكني ، حملني بعناية ووضعني في غرفة اغراضه الثمينة ، ثمّ حبسني بمواجهة الشّمس واغلق دوني الباب ، شعرت ُبالعطش حتّى اصابني الجفاف ، فتحولتُ إلى قصبة مجوّفة ، نظّف تجويفي ثمَّ ثقَّبني عدة ثقوب ، وكلّما ينفخ بي ، يصدر عنّي صوت يشبه النحيب ،

واسمعهم يقولون : حنين النّايَ إلى أصله..

ولايُصدر عنّي صوت إلا بنفخي ، نفخةٌ يتحكّم بها العازف ، بتناوب أصابعه على الثقوب.

(3)

أصل الإنسان روحه...

نفخة في عدم ، بإرادة .. بِلا هواءٍ..بَلا فَم..

فحييتنا به صورةٌ ..تتفرَّع عنها نفوس كثيرة..

صورتي وصورتك ، فتعرفُني وأعرفُك ،هناك حياتُنا معاً، أنا وأنت بلا جسد ، فليس بيني وبينك حقد ولاحسَد ، أصلنا هناك ، وكلُّ الأشياءُ تحنُّ لأصلها ، وأصل النّاي قصبة في مبزل الماء.

فكرة طوّف حولها جلال الدين الرومي (1)* كثيراً، فتأمّل في سرّه صوت الناي ، فكأنّه حنين الى اصله ، فاذا سمعه من له اصل ، وكان اصغاؤه عميقاً عند السماع ، حن الى اصله ، واصل الروح هو سر النفخة الالهية ، هذا السر هو من يحاول المتصافي المولوي (2)*الوصول اليه ، مع نحيب الناي ، والحنين الذي يبثّه في النّفس ، يطوّح بجسده راقصا، في فضاءات الشوق ، يفتح ذراعيه الى السّماء ، كجناحي فراشه تعتلي بهما معارج الرحيق ، يشعر بخفة في جسده ، يتسامى ، يتلاشى في سكرته، ثمّ ينفصل عن جسده ، فكأنّه سجين أطلق سراحه ، بينما يبقى جسده سائبا يدور ويدور، وذراعاه ممدودتان إلى السّماء.

مواهب البحر

قذفَ له البحرُ ساعةً قديمةً ، وعرقَ السّواحل ، انتشلهما من الرمل ، أزال ماعلق بهما ، نظر اليهما بلهفةٍ، استشعر ملمسهما ، فانتابته رعشةً ، شعر بسببها باللذة والانتعاش ، سألته عروسه وهما بعدُ في شهر العسل ، عمّا أصابه ، فأجابها لا أعلم ، وهولم يتأكد بعدُ سببَ حصول ذلك ، الساعةُ أم عرق السواحل ، فكّر أن يُشركها بهذه التجربة ليتأكد من الأمر، اعطاها السّاعة ، شعرت بملمسها ، سألها بماذا تشعرين؟ ، فأجابت : لاشيء !، أخذ منها السّاعة واعطاها عرق السّواحل ، شعرت بلمسه ، سألها بماذا تشعرين ؟ فأجابت لاشيء..!

عادا الى البيت وهو لايزال مشغولَ البال ، ويُفكر بالسّر فيما أصابه ، وبمرور الوقت نسيه وخرج الموضوع عن باله..

ذات ليل غاب عن البيت لأمرٍ ما ، ساور الشّكُ زوجتَه ، راحت تبحث في اغراضه فعثرت على السّاعة وعرق السّواحل ، وتذكّرت مادار بينهما على الشّاطئ ، شعرت بلمسهما، فانتابتها حالة من الرعشة واللذة لم تعهدهما من قبل ، كانت السّاعة بكفّها اليمين ، والعرق بكفها اليسار ، نقلت الساعة الى كفّها الايسر وعرق السواحل إلى كفها الأيمن فلم تشعر بشيء ، فأعادتهما الى وضع الأنتشاء ، كانت تكرر هذا الامر حتى تحقق لديها الإشباع ، ولذلك باتت تسبق زوجها إلى الفراش ، وكلما يدنو منها يجدها تغط في نوم عميق..

ذات يوم مكثت زوجته في بيت أهلها ، واثناء البحث في أغراضه عن حاجة ما ، شاهد السّاعة وعرق السّواحل ، وتذكّر ماجرى له حينذاك ، حمل السّاعة بكفّه اليمين وعرق السّواحل بكفّه اليسار ، فشعر بذات اللذة والانتعاش عند الشاطئ ، نقلهم بالعكس فلم يشعر بشيء فعلم السّر ، وصار لايبالي بزوجته التي أحبها وأحبته..

بات التباعدُ بينهما يزدادُ والفجوةُ تتسع ، وبعد ان علمَ أنّ مصير العلاقة بينهما في خطر ، ألقى بالسّاعة وعرق السّواحل في البحر ، وصرخَ بإعلى صوته : شكرا.

لم تزل عذراء..

تعتقد بعد سنين ، أنّ علاقتها الزوجية ، كانت مسرحية تؤدّي هي ًدورا فيها ، وأنّ من سرق منها السّيناريو يخدع الجمهور ، فيخفي مآربه خلف مشاهد مفتعلة تحقق الإثارة..

السيناريو : تسير على ضفة النهر ، الشّمس ترسل اشعتها ، فتبدوا من خلل الأشجار كسراج ساطع ، وهي تتعجّل الخطى للوصول اليه في الموعد المحدد ، لقاءات اعجاب متبادل ، ليدخلا بعدها قفص الزواج.

الزوجة : اشعر أنّي مميزة ، لأنك اخترتني من بين الفتيات.

الزوج :نعم ، فأنت عنوان الجمال ، وتتمتعين بالحيوية وكأنّك في أجواء أحتفالية راقصة.

الزوجة : هذه فقط ترضية وأنا لاأقبل أن تكذب علي، فأنت تخونني!!

الزوج :نعم " احيانا نحن نضعف امام الجنس الآخر، ولانمتلك القوة للسيطرة على دوافعنا.

الزوجة :ثمّ عندما تأتي الى السّرير أداعبك ، لكنك تتذرع بالتعب.

السيناريو :بعد مشادّة معه تذهب الفتاة للعيش مع جدتها في المزرعة.

الجّدة: النباتات مصابة ببعض الحشرات ، ساجلب العنكبوت الكبير الذي يتدلّى في غرفتي ليتناولها .ويخلّص الأشجار منها.

الحفيدة : هل شعرت ياجدتي يوما أنك تودين أن تكوني أمّا أو زوجة؟

الجدة : نعم وددت كزوجة ، شعرتْ الجدّة بوجود بعض الحزن في صوت حفيدتها ، فسألتها :هل يعاملك زوجك بشكل جيدا؟

الحفيدة وهي تبكي : لم يكن كما تخيلته في البداية.

الجدّة وهي تحتضنها : لايمكن لأحد ان يسلب ماانت عليه ، فانت قويّة .تخفي الجدّة انفعالها ثمّ تسألها : ماذا فعل معك؟

الحفيدة : لاشيء وعليّ ان اعتاد على حياتنا الزوجية.

الجّدة : من الافضل ان تجعلي الحياة الزوجية هي من تعتاد عليك!!

السيناريو :يعود الزوج ليلا ، يدخل بشخصية الرجل المتثاقل المتعب ، يجد فتاته بانتظاره ، وبعد حديث يدور بينهما ، تقفز من مكانها لتحتضنه من الخلف ، وتبادر بتقبيله ، فيخبرها ان مزاجه غير جيد ، تشعر بالانكسار فتنسحب لتنام مع الحزن.

الزوج يهمس لها :ومادمت تجيدين الكتابة ، فبامكانك ان تشغلي الفراغ بكتابة الروايات!!

الزوجة تذكرت وصية جدتها وبدأت الكتابة : وسط تلك الأجمة (1) *حيث الأشجار تمسك وجهي ، بشكل حقود عندما أمربينها ، تنعكس عنها الشمس وعلى وهجها الوان الفراولة وزنابق الوادي ، والأفاعي ، هناك اشعر بالرعب فأرتجف حد الاختناق .اكاد افقد بصري ، حين ينتاب الغموض كل شيء .وكأنّي في ظلام دامس.

السيناريو: الزوج بعد ان قرأ رواية زوجته قام بتغيير بعض احداثها وفق رؤيته ، وتكييف بعضها الآخر لتصبح أكثر إثارة واشد تأثيرا في مشاعر الناس ، وهو يقصد بذلك تحقيق المكاسب والأرباح ، وبعد مراجعتها اكثر من مرّة ، أرسلها للطباعة والنشر ، على أنّه هو كاتبها ، وهو يقول في نفسه : ساصبح ثريا بسبب هذه الرواية .وتوالت الروايات ، وكل واحدة تحقق انتشارا واسعا، يطالبها بكتابة المزيد ، وهي تجد نفسها مضطرة لأشغال الفراغ ، والشعوربالفخر لنجاح ذاتها وتفوقها..

تحوّلت حياتهما الى مايشبه المسرحية ، هي تمثّل دور الكاتبة ، وهو ذلك المخرج الجشع ، الّذي هدفه الثراء على حساب جهدها وقلمها.

طلبت منه ذات يوم ، ان يطلق اسمها على روايتها الأخيرة ، وتذرّع لها أنها كاتبة مغمورة لايعرفها احد ، ولن تحقق الرواية نصيبها من الانتشار والمال .فخرجت من البيت ، وفي قرارة نفسها ان لاتعود اليه ، وأن تكتب) سيناريو (2)*(جديد لحياتها.

----

(1)*الأجمة : الشّجر الكثيف الملتف.

(2)*سيناريو : النَّصُّ السِّينَمَائِيّ أَو الْمَسْرَحِيُّ الْمُتَضَمِّنُ تَعْلِيماتِ الْمُخْرِجِ وَحَرَكاتِ الْمُمَثِّلِينَ وَأَجْواءِ أَداءِ أَدْوارِهِمْ مِنْ حَيْثُ الْمَناظِرُ والإِضاءةُ.

ختفاء طفلة

قال شاهد عيان ، رأيتها واقفة على جرف النهر

سأله أحدهم : هل تقصد انها غرقت ؟

فأجابه :لأدري.

لم يترك اهلُها مكانا إلا وفتشوه

حتّى ظنوا أن عصابة ما اختطفتها

قال احد اخوتها : لنتريث قليلا وننتظر

لعلّ الخاطفين يتصلون لطلب الفدية

قال أخوها الآخر لنتصل بالشرطة؟

فاجابه الأوّل :أية شرطة تقصد؟

الشرطة التي تخاف من العصابات

وتأخذ الرشاوى لن تفعل شيئا.

اتفق اخوتها بعد ان اصابهم القلق

ان يبحثوا عنها في مستشفيات الطب العدلي

لكنهم وبعد أن بذلوا الجهد وتعبوا

لم يعثرو على شيء.

احد اقرانها وبعد عودته قال لأهلها

انها تسجّلت غائبة في المدرسة

امّا صديقتها فقالت : كنّا نلعب سوية لعبة الاختباء

قبل موعد المدرسة بقليل ؛

طلب اهلها ان تدلّهم على مكان اللعب

فتشوا الأماكن المتوقّعة ، ولم يعثروا عليها

ولم يتبقَّ إلّا شجرة التوت..

ولمّا تسلّق اخوها....

-إثارة-

مغرم بعطور النساء ، لكنّه لايهتم لوجودها على الرفوف ،

أوداخل الصّناديق الزجاجية ، ولم يُبادر يوما بشراءها

، أو تقديمها كهدية لفتاة ، حاسة الشّم قويّة لديه..

وتثيره العطور المنبعثة من النساء ، تتغلغل إلى دماغه ،

وتهيّج المشاعر لديه ، فيُصاب بما يشبه الجنون ،

تتوتر أعضاؤه ، ويشتعل جسده ، فيفقد التحكّم بإعصابه..

التقاها ذات مساء ، داخل كابينة السّلّم الكهربائي ،

لوحده كان ينتظر الغلق التلقائي للباب ، فسبقها اليه عطرها ،

وما أن استقرّت إلى جانبه ، حتّى صار يضرب رأسه بقوة ،

بالجدار الحديدي خلفه،

اصاب الفتاة الذّعر لاعتقادها أنّه مجنون ، لكنّها لاحظت وسامته واناقته ،

فعدّلت نظراتها اليه ، ودققت في ملامحه الشّبابية الجميلة ،

فسألته عن تصرفه ، في البدء تردد في اجابتها ، ولمّا ألحّت عليه أخبرها السّبب ،

وهو يهتز وأطرافه ترتعش ، كانت تنظر الى جسده ، من الاعلى الى الاسفل،

أثارها ماكانت ترى ، وهيّج مشاعرها فتحاضنا وتبادلا العناق ،

حتّى انفتح الباب ، فإذا بجمهرة من الناس تنظر اليهما.

)لهفة(

أدهشه امتلاء جسمها ، ومرونة حركته ،

وهي تمر اسفل قدميه ، ذهابا وايابا ، فالقى بسنارته ،

ولاحظ اختفاءها في عمق الماء ،

هناك حيث تتوجّه دفة الخيال نحو الغيب ،

الى اصوات عربات القطار، وعجلاتها المتلازمة مع السكة الحديدية ، يسترق النظرالى المقاعد المقابلة ، ثلاثينية مكتنزة ،

حين تنفرج شفتاها ، يشبه فمها فم السّمكة ، يتحسس طراوة بشرتها ، ونعومة ملمسها ، حين تنظر اليه يتيه في فتنتها ،

يداعبها بخياله ، يدخل غرفة العرس ،

تقف بانتظاره وسط الحجرة ، ترتدي ثوب العروس ،

يرفع البرقع عن وجهها ، يُقبّل جبينها ويجلسها الى جانبه ،

في هذه اللحظات غمزت السنارة ،

سحب الخيط ، فمسكها بين يديه وهي تحاول التملّص.

أصوات تحت الأنقاض..

يركض في مضمارالعمر ، يتجوّل بين ما تبقي من أطلال ذكرياته ، ، متداعية ، تقف على حافة النهاية ، يترقّب عاصفة الموت الآتية ، لتقتلعها من الجذور ، بعد أن هطل نذير الثّلج ، فتحوّل شعره الى بياض ، يقضي نهاره يتسوّل ، بين من يحتقره وينهره ، ومن يُشفق عليه ، يعتاش على كلمة طيبة ، أوماتبقى من طعام تركه طفل ، أورمى به باذخ على قارعة الطريق ، يعود تحت جناح منكسر من الظلام إلى المقبرة ، يمسك خيطا رفيعا ، يستدل به على خطاه بعيدا عن التيه ، يدخل حجرة بناها فوق قبورهم بما تبقّى لديه من مال ، بعد ان أخرج افراد عائلته الواحد تلو الآخرمن تحت الأنقاض ، بقي وحيدا يجترّ شوك الدقائق ، تتطوّح حياته بين ميت الى حي ، وحي الى ميت ، يرش الماء على تربتهم ، يزرع فيها انواعا من زهور الظل ، يذرذر فوق الجمر بخوره فيتعالى الدخان ، ينشر رائحته في ارجاء المقبرة ، يتلو القرآن عنهم ، يدعو بالرحمة والمغفرة لهم ، حتّى بات يشعر بأصوات تأتيه من داخل القبر ، نشيج وبكاء، فتُطفئ دموعه عيون الجمر ليغيب معهم في نوم عميق..

أطلّ الملك آشور بانيبال من نافذة قصره ، الذي يعانق الضّباب ، فرأى الثيران المجنحة تسد الأفق ، سمع ضجيج خوارها ، ، سمع صياح الديكة وعراكها ، شاهد تكدّس الغربان فوق الاشجار

لتلبسها ثوب السّواد ، كلاب تعوي خلف التلال ، ظلام موحش ، للملِك حاسة قويّة يشمّ بها الآلهة القادمة ، فيقر انها آلهة الشّر ، جردتهم من اسلحتهم ، لانها تعلم أنهم ماهرون في استعمال السلاح ، أرسلت شياطينها ليقتلوا شعبا أعزلا ، فدمروا المدينة ولم يبق سوى أطلال، معظم الاهالي قُتلوا ، والباقين رحلوا إلى خارج المدينة ، وبقيت الجثث مدفونة تحت الأنقاض . تُصدر أصواتا مختلطة، من الأنين والتأوهات ، صراخها يتعالى ، ويتعالى ، فيستيقظ ليوم آخر ، يفرح كثيرا لأنه يجد عائلته ألى جانبه ، ويطمئنّ أنها لن تموت مرّة أُخرى.

صوت ريام

ركضت تتسابق مع الخوف ، تتعثّر بالجثث والأنقاض ، وهي تسمع اصوات القذائف الثقيلة خلفها، وصور القتل والذبح والدماء النافرة ماثلة في مخيلتها، حتى بلغت النهر، وقفت على الجرف وهي تنظر بعينين دامعتين الى الزورق الذي يقل والدها وبعض افراد عائلتها يبتعد بسرعة ، لنقلهم الى الضفة الأخرى ،حتّى عبر وسّط النهر ، ضاقت بها الحيَل وفقدت اعصابها ، لم يسعفها عقلها الصغير للخلاص ، فالقت بنفسها في النهر..

كانت تسمع نداء أمّها يأتي من بعيد))ايها الماء المتدفق عبر العصور ، لاتبتلع هذا الوجه الجميل ، دع ريام تتنفس ، فأنت الموصل بين ضفتي الطيبة والجمال ((

عاش الاهالي سنوات من الجحيم ، اختلف فيها كل شيء ، وباتت وسائل العيش تنعدم ، ويعاني الاهالي من المجاعة ، والخوف ، وتنتشر في الساحات مظاهر الذبح والاعدام.

***ثمّ تبعت ذلك ايام يشيب لهولها الرضيع ، القذائف تأتي من كل مكان ، من الطائرات والمدفعية الثقيله والصواريخ ، فيتصاعد غبار البيوت التي تتهدّم ليختلط مع دخان الحرائق وانفلاقات القذائف ، وترى الناس رجالا ونساءا واطفالا يهيمون على وجوههم من هول مايجري، حتى تفكّكت العوائل وتشرّد افرادها في اتجاهات متعددة ، فمنهم من قتلته عناصر داعش ومنهم من قتلته القذائف المتساقطة عشوائيا في كل مكان ، ومنهم من استطاع**

الهروب الى خارج المدينة ، أو عبر النهر الى الجانب ألأيسر ، وبقيت آلاف الجثث تحت الأنقاض.

اغلب الأطفال عُثر عليهم تائهين في الصحاري والطرقات وتحت ركام المنازل، وتم إنقاذهم بمساعدة فرق الإنقاذ و لا أحد يعرف عن مصير أهلهم شيئاً؛ هل هم على قيد الحياة أم قُتلوا خلال المعارك؟

" ريام " البالغة من العمر 5 أعوام، هي واحدة من بين مئات الأطفال الذين انفصلوا عن ذويهم ، يقول والد ريام :حين لمحتها تلقي بنفسها في النهر، كاد قلبي يخرج من صدري ، وتمنيت الموت بديلا عن هذا المشهد العصيب ، لا استطيع العودة بمفردي وترك البقية من عائلتي في الزورق ، ولا العودة به لأنّه يغصّ بالنازحين الفارّين من جحيم المعارك، ورصاص عناصر داعش الذي يتعقّب الفارّين ، وبعد مرور أكثر من شهرين على استعادة مدينة الموصل، تلقيت اتصالاً هاتفياً من أحد اصدقائي يُعْلمني بوجود أطفال في إحدى دور الرعاية، يجهلون هوياتهم ، كنت فاقداً الأمل حينها، لكنّ شعورا ما ساقني إلى ذلك المكان، وفي أثناء بحثي في وجوه الاطفال ، سمعت صوتا ينطلق "بابا بابا "ادرت وجهي تجاه الصوت ، وإذا بريام تركض نحوي ، احتضنتها طويلا وتعانقنا البكاء.

مسامير خشب..

قصة قصيرة

لم أُدرك انّي بصدد كتابة قصّة قصيرة ، حتى انفصلت العربة عن الحصان ، كانت نهاية مؤلمة، وقع فيها اللوم على ابي ، كيف لم يضبط عجلاتها، ويُحكم ربطها بالحصان ، ابي الذي يجعل الخشب يحتضر بين يديه ، حين يلوي عنقه، ليُجبره على مطاوعته ، لم يستعمل يوما مسمارا حديديا لتثبيت قطعة خشبية بأخرى ، بل يعمل ثقوبا ثم يحشر فيها مساميرا من الخشب ، ويعيد صقلها حتى يُخفي مواضع الربط تماما ، ويجعلها كأنها قطعة واحدة ، كانت بداية عملي مع والدي في المرحلة المتوسطة ، وفي طور المراهقة صرت لا احب الدراسة ، لكنّي أتظاهر بالخروج من البيت كل صباح بحجة الذهاب الى المدرسة ، اتواجد في الصف لدرس او درسين ، ثم نعبر انا وصديقي فوق حائط سياج المدرسة ، ونمضي

بقية الوقت في السّوق ، ولا نعود الى البيت إلّابعد انتهاء وقت الدّوام ، لإيهام والدي بتواصلي مع الدوام ، ، لكنّ النتيجة في نهاية السّنة تفضحني، ثلاث سنوات دراسية ضاعت بسبب الرسوب ، وهو تصرّف ندمتُ عليه فيما بعد ولاأزال ادفع ثمنه ، لأنّي كنت اتجاهل نصائح أهلي وتوجيههم لي ، وأخيرا وصل والدي الى قناعة بأن اجباري على مواصلة الدراسة هو ضرب من العبث ، فطلب منّي ترك المدرسة ومساعدته بالعمل في ورشة النجارة، كان يقول لي ان الفشل في الدراسة لايعني الفشل بالحياة ، ويشجعني على تعلّم ومزاولة صنعة ما ، وبفترة قصيرة اتقنت معه العمل ، واكتسبت الخبرة المناسبة ، وبمرور الوقت صرت أُفكر بتطوير الورشة وتوسيعها ، فجلبت المكائن ، لتنويع الانتاج ليشمل نجارة الكراسي وغرف النوم ، نقشها وزخرفتها وتعشيقها ، وجلبت ذوي الخبرة من العاملين .. يقول والدي انت ناجح وذكي في ادارة الأمور رغم فشلك في الدراسة ، أبقى لنفسه ركن صناعة العربات دون تغيير، لكنّه صار يتباطئ بعمله لضعفٍ في بصره وتهالكٍ في قواه الجسمية، فيُمضي الاسابيع أحيانا دون ان يتمكن من اكمال عربة واحدة ، ثمّ مع تقدمه بالعمر، اصبح يرفض اي تدخّل لتغيير نمط عمله ، ويصر على تصنيع الأجزاء من الخشب دون غيره ، ولايستعمل مسامير الحديد والاشرطة المعدنية والزوايا لتقوية هيكل العربة ، وانجازها بوقت اسرع ، وحجته في ذلك ان الخشب اكثر جمالا لأنّه يتقبّل الزخرفة والتزويق ، كان والدي لايستغني عن العربة والحصان ، لتعلقه بالذكريات معهما ولايرغب بمفارقتهما ، يقودهما في الذهاب والإياب من وإلى الورشة ، يسلك يوميا طريق السّدة الترابية المعبّد بالقير بمحاذاة نهر الفرات ، وذات يوم شديد المطر وينهمر بغزارة ، ظلّت العربة واقفة امام الورشة بعد أخذ الحصان إلى السّقيفة ، لم ينقطع هطول المطر طيلة النهار، طلبنا من والدي بعد انتهاء عملنا لذلك اليوم ان يركب معنا في السيارة ، حاولنا اقناعه انه لافرق بينها وبين العربة لأنّ هيكليهما مصنوعان من الخشب ، لكنه لم يقتنع ، وتحت وابل من المطر جلب الحصان وربط العربة ، وانطلق بها وهو يستمتع بمناظر الأشجار ، وهي تتمايل وكأنها تتُراقص على ايقاع ارتطام المطر بالأرض ، ونسمات باردة يخالطها الرّذاذ تلامس وجهه ، وتبعث في نفسه الإنتعاش والنّشوة ، حتى وصل الى السّدة وارتقاها الحصان بصعوبة ، كونها مرتفعة عن الارض ، سمع طقطقة في مفاصل العربة اثناء الصعود لكنّه لم يعيرها اهتمامه ، كان واثقا من متانة صناعته لها ، وواصل ضرب الحصان بالسّوط ، لحثّه على السّرعة ، ولم تمضِ سوى دقائق حتّى انفصلت العربة عن الحصان ، فانحرفت عن السّدّة لتسقط في النهر.

زومبي..

يشتدّ تأثير الجوع ، في مواسم القحط ، ويجد الناس انفسهم مجبرين على أن يعودوا الى بدائيتهم ، ويفقدوا عقولهم ، صار يصيبهم مايشبه الجنون ، فيأكلون أمواتهم ، ثمّ يشتد بهم الحال اكثر فيأكلون أطفالهم ، ذات ليل حالك السّواد فَزَعَ الناسُ من نومهم على عاصفة هوجاء، تَطايرتْ لِشدّتِها سقوفُ المنازلِ، أصابَ الهلعُ الأطفالَ والنساءَ ، هَرعَ الجميع خارجَ منازلهم الطينيةِ وقد اصابهم الذّهول ، يُصوبَون ابصارهم نحو السّماء ، وميض يملأ القلوب خوفا ، والسنة اللهب تتعالى في كبد الأفق ، الجثث تتمرغ على الارض ، تختلط دماؤها بمطرغزير ، تعزف الريح الصفير على اغصان الاشجار ، يتهاطل الطين عن الجدران من شدّة المطر..

ليلة كانت طويلة ، هذا يأكل ذراعا ، وآخر يمخر بطنا ، وثالث يتناول المخ من جمجمة تناثرت ، ولعلّ العالَم السفلي يبتهج بالكثير من الموتى ، يخرجون من باطن الأرض ، يأكل بعضهم بعضا .في مشاهد مفزعة ، ، يتمنّى الإنسان لو أن لديه اجنحة ، فيهرب بعيدا عن هجوم أولئك الأوغاد..

تلك المشاهد تحدث في الظلام ،لإثارة الرعب في النفوس ، ومحاصرة الضحايا في الزّاوية..

مشاهد تركت آثارها النّفسية من الإشمئزاز والكآبة ، ورحت أسأل نفسي: عن دوافع الأهتمام بالرعب ، فوجدت أنه سلاح السّلطويين لفرض سيطرتهم على الناس ، يحرصون على ان يبدو مظهرهم جميلا ، لكنّهم يخفون خلف صورتهم ، أنيابا مدببة وقلوبا قاسية ، فأجد في نفوسهم الرغبة بامتلاك مالا يُحصى من الزّومبيين ، يلعقون الدماء النافرة ، ورصاص اسلحتهم يلاحق من يخالفهم ، يمنعون عقول هذه المخلوقات ان تفكّر ، فيناولونهم جرعات من مسحوق سم العصب ، الذي يتاجر به الكهنة لتلويث عقول الأتباع ، قوى سحريّة تتحكّم بهم لتنفيذ أوامر القتل والتدمير والتهجير....

الوردة والصّولجان...

قصة قصيرة

يعد الأيام يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، يترقّب لحظة اطلاق سراحه من السّجن ، ليلقي عن كاهله ذكرياته القاسية ، ويُصلح ماتيّسر من خطاياه ، لعلّه يستطيع التملّص من عذاب الضمير..

لم يغازلها يوما ،لايهتم بمشاعرها ، ينظراليها شزرا ، يتقوّى عليها بعضلاته فيدفعها ، لتسقط على الأرض احيانا ، بعد عاصفة من الضرب والشّتائم والسّباب ، تزوجها فقط لانها جميلة ، و جسدها ممتلئ ، ومفاتنها طاغية , اراد فقط ضمها الى ممتلكاته ، ليستمتع بها متى يشاء ، كل ليله يتعرّض سريرها للأغتصاب ، وكما علمت بذلك مستودع اسرارها وصديقتهاالأمينة ، تشعر بطعنات متلاحقة لأحشائها ، طعنات في المناطق الرخوة الليّنة ، كأنّه يهرس الورد بصولجانه. أو يطعنها برمح خشبي.

رفيق السجن : وماذا كانت ردّة فعلها لتصرفاتك.

السّجين : كانت تلجأ للبكاء.

رفيق السجن :هل كنت تشعر بالمتعة وانت تعذّبها وتنظر لدموعها المنهمرة ؟

السجين : نعم.

رفيق السّجن : هل انت نادم على معاملتك الوحشية لها؟

السجين : نعم .. فذلك اليوم ، دفعتها بقوة الى نافذة غرفة النوم في الطبقة العلويّة ، فاخترق جسدها الزجاج لتسقط على الشّارع العام ، وينقلها الناس مباشرة الى المستشفى..

بعد مضي ثلاثة اشهر قضتها للعلاج ، تفاجأ بزيارتها له في السّجن ، زيارة غير متوقعة ، نعم هي زوجته ، تقود كرسي متحرّك ، بعد اصابتها بكسر الحوض وانزلاق الفقرات ، نتيجة الحادث ، لم يتمالك نفسه من الصّدمة ، فاغرورقت عيناه بالدموع ، وطفق يعتذر لها ويطلب السّماح ، فابتسمت له واعلنت قبول اعتذاره ، وطلبت منه ان ينسى ماحدث..

رفيق السّجن : مالذي دعاك للبكاء ياصديقي ، ألا ترى أنك قد تبدو بنظرها ضعيفا !!

السجين :لم اكن اعلم أن أيمانها وطاعتها تجتاز كل تلك الحدود .

رفيق السجن : اذن لماذا انت في السّجن الآن ؟ أليس بسببها؟

السّجين : كلا ، بل أن شقيقها هو من أقام الدعوى ضدّي بتهمة الشروع بالقتل. .

وفورعودتها الى البيت ، جلستْ تُفكّر مليّا بما تصنع ، وتوصّلت الى قناعة أنّ حياتها معه صارت مستحيلة ، وأن من مصلحته هو أن يفترقا ، اتصلت بشقيقها ، وطلبت منه باعتباره وكيلها ، سحب دعوى الشروع بالقتل ضد زوجها وتقديم دعوى طلب الطلاق .

وجوه خلف الضّباب.....

استأذنني في نهار شديد الحر ، ليسبح في شط الفرات ، ثم غاب من ساعتها ، وطال غيابه حتى ظننتُ غيابه أبديا ، كنت ألحظ ُ تغيّر احواله ، في الفترة الأخيرة ، صار يسرحُ بفكره كثيرا ، يقللُ من الاوقات التي يقضيها معي ، يتجنب الحديث ، يمتنع من مشاركتي وسائل التسلية ، كالورق والدومينوولعبةالشطرنج، والذهاب سوية للملعب الرياضي ، وفي ايام

الصّيف كان يتمسّك بأن نذهب معا للسباحة في الشط ، لكنه في هذه المرّة أصرّ على أن يذهب لوحده ، كان اصراره واضحا ، وترك في نفسي شعورا مغايرا لم ينتابني من قبل..

أشخاص كثيرون غابوا ،أسرى الحرب ، وفي السّجون ، أو أماكن الإختطاف ، دون ان يعلم احد مصيرهم ، ومنهم من تمّ دفنه حيّا ، وآخرون غابوا عن الأنظار يوم ولادتهم ، روايات كثيرة عن الغياب ، منها ماهو خرافي أو اسطوري ، فواحد نزلت عليه طيور بيض، قالوا عنها ملائكة ، شاهدها الناس تمسح بأجنحتها على وجهه ورأسه وجسده ، ثمّ تطيربه ، وقال منجم يهودي لوالد أحد الغائبين : ليس في النجوم دلالة على إنه ابنك ، وانه قد خرج على الأرجح من جذع نخلة ، بعد غياب زوجتك ، وأظنّ سيكون له شأن ، سيملك الدنيا شرقاً وغرباً ، برّاً وبحراً ، سهلاً وجبلاً، حتى لا يبقى على وجه الأرض احد الّا عرفه ودان له ، وغائب آخر هبط عليه في طور الصّبا ملكان على هيئة طائران ،انتشلاه من الأرض ، وحملاه الى السّماء ، شهد بذلك من كان يلعب معه من اقرانه ، ولا احد يدري اين هو اليوم ، ولم يره بعدها أحد..

سألت عنه الساكنين على ضفتي النهر ، الأصدقاء والمعارف ، لكنهم جميعا أنكروا رؤيته في ذلك اليوم ، ولو كان غريقا لعثروا على جثته بعد يوم او يومين ، ظنّ البعض في البداية أنّ غيابه قد يكون مقلبا من مقالبه الكثيرة ، صنعه لأثارة الاهتمام ، لأنّهم كانوا يعرفونه مولعا بالألغاز ، وقراءة الكتب البوليسية وفك الرموز والشفرات ، في ذلك اليوم ليلا جاءني أهله ليسألوا عنه ، كما سألوا بقية اصدقاءه ، واستغربت من أمرهم ، لأنّي لم ألحظ على وجوههم ملامح القلق أو الفزع على مصيره..

قد أكون أنا الغائب يوما ما، بدلا من صديقي ،ولقد تكررت تجاربي مع الغياب ، غبت عن الوعي يوما ، جرّاء الصّدمة ، فرأيت كأني في عالمٍ كبياض الثلج ، تحملني فوقه مركبة تشبه في حركتها الدورانية سكّة الموت في مدينة الألعاب ، شعرت أنّها دارت بي زمنا طويلا ، وكاد نَفَسي يَنقطع ، وأوشكت على فقد الحياة ، لولا أنّي شهقت كمالوكنتُ غريقا.

فترة طويلة مضت على الحادث ، وكدت انساه لولا أنّ ذكريات العشرة التي جمعت بيننا لايمكن نسيانها ، وذات يوم شاهدت صورته في جريدة أجنبية ، وقرأت اسفل الصورة بالخط العريض ، تم القاء القبض عليه بتهمة التجسس.

أيام صّدئة..

مع شروق نهار جديد ، وانت تدخل سوق هرج ، الجميع يهتمون بك على قدر ماتحمل من نقود ، ذلك سوق الجمعة ، احدهم يدفع عربة خشبية وعليها كومة من البراغي اصابها الزّنجار ، عجلاتها مستهلكة ، يدفعها بصعوبة بالغة على ارض طينية ، يخترق حشود ذاهبه وأخرى راجعة ، والآخر يجرّ خلفه سلاسل حديدية صدئة ، حلقاتها مختلفة الحجوم ، تحدث ضجيجا حين ترتطم ببعضها ، وحين تمرّ على الحصى والاحجار ، وعلى جانبي الطريق حاجيات ومواد احتياطية مستعملة ، لايعرفها الّا من يبحث عنها ، اكوام من اسلاك واحشاء اجهزة ، ومعدات مختلفة الإستعمال ، مفكّات وعدد يدوية واجهزة كهربائية ، وملابس مستعملة ، ولأن الموظفين في زمن الحصار ، كانت رواتبهم هي الأضعف، فإنهم الأغلبية في هذا الوسط يبيعون ويشترون أي شيء ، و قد يضطرون لبيع حاجياتهم بخسارة في غالب الاحيان ، لشراء كفافهم اليومي من الخبز ومايتيسر معه من الغَموس.

وقفتُ في موضعي المعتاد ، ووقف إلى جانبي صاحب العربة وصاحب السّلاسل ، الأوّل طويل القامة كبير البنية يبحث عن حاجيات معينة ، يعرف هو قيمتها دون غيره ، يقوم باصلاحها وبيعها باسعار مضاعفة تماما ، والآخر ضعيف البنية قصير القامة ، يقتنع بالقليل ، ويقبل الربح الزهيد ، يختلف عن الأوّل في أنّه لايعرف قيمة الحاجة.

الأوّل: هل تعلم بالأسعار المرتفعة للنحاس ؟

الآخَر : كيف نحصل عليه ؟

الأول :نشتري الاسلاك الكهربائية المستعملة ، ونشعل فيها النار لأزالة الغلاف البلاستيكي العازل ، ثم نجعلها كتلا باستخدام المطرقة ، ونبيعها بالكيلوغرام.

الآخَر : ومن يشتريها ؟

الأول : هناك اشخاص يجمعونه ويبيعيونه للمهربين في الشمال ، ثمّ ينقلونه على ظهور الدّواب الى خارج الحدود.

الآخَر : لكن الذي اعرفه ان التهريب ممنوع ويتم القاء القبض على المهربين.

الأول : نعم هناك بعض المهربين يجهلون عملية التهريب أو يحاولون التهرّب من دفع الرشاوى الى بعض عناصر الأمن.

غالبا تشاهد الوجوه ذاتها ، الأشخاص انفسهم ، والأمكنة لاتتغير، تجد الحاجيات ذاتها فوق العربات والصورة تتكرر ، وطيلة فترة النهار ، تكون الحركة دائبة ذهابا وإيابا ، والوجوه تزداد فيها علامات التعب بمرور الوقت ، وتجد الكثير من الفضوليين ، يذرع السوق ذهابا وإيابا بدون هدف محدد، أوبدافع حب الأستطلاع ، واحيانا يحدث شجار هنا أو هناك ، لحصول خلاف على السعر ، او سرقة حاجة ما ، فيتجمهر الناس حول الحادث، يعلو الصراخ وتختلط اصوات الشتائم والسباب ، وقد يخرج من بين جمهرة الناس شخص راكض، ممزّق القميصُ تسيل على وجهه الدماء.

تختلط الروائح في فضاء السّوق ، رائحة الطين الأزرق لكثرة الاقدام التي تمرّ عليه، العرق المنبعث من الآباط ، رائحة الزنجار، عفونات هنا وهناك ، لكن قساوة الجوع هي من تسوق الناس للحصول على الخبز ، يدخل الرجل لأول مرّة ، يبيع من حاجيات البيت ليجعلها رأسمال يزاول به عملية البيع والشّراء ، يتغيرالمرء في هذا الوسط بمرور الأيام ، وتنتقل اليه عدوى الخداع ، فيبين للمشتري في البداية عيوب الحاجة ، وقد يتساهل في سعرها ، ثمّ مايلبث ان يتحوّل الى شخص كذّاب ، يحلف على جودة بيعته ، غشاش يخفي عيوبها ، جشع في تعامله للحصول على المال .

وكما في كل مرّة حين يقترب قرص الشمس من الغروب ، يعود الرجال ، فيتحرّك من أحد جانبيّ من يدفع عربة البراغي التي اصابها الزنجار ، ومن الجانب الآخر من يجرّ السلاسل الصّدئة فتُحدث وراءه ضجيجا..

صرخة في فراغ..

اربعون سنة وهو يتأمّل ولادة غصن أخضر من رحم الشجرة اليابسة ، يقف امامها طويلا ، يتأمّلها ، يسقيها على الدوام ، يترقب خروج برعم من تحت قشرتها اليابسة ، قال له زعيم العرّافين اذا كسا هذه الشجرة الإخضرار ستنجب زوجتك ولدا، صار يرى اطفالا يخرجون

من جذعها ، يسمع اصواتهم يلعبون حولها ، فيطوف معهم ، سيولد من جذعها ولدا ، وظل يرددها مع نفسه ، حتّى وصفه البعض بالجنون ، كان يرسل اليها نظرات متلهفة ، ساكنة ، حتى تسيل الدموع من عينيه ، يتخيّل الشجرة كما لو أنها تُقطع ، لتصبح حطبا للنار ،هي ذات الحرمان الذي يتأجج بداخله ، فيعلو نشيد حزنه ، يلحس الفراغ بصراخه ، هناك في عيني زوجته وهي تنظر بعينيه ، كلام كأنّه طلاسم على حجر ، كأنّ اخطبوطا جريحا يتلوّى ، يتكوّرعلى اذرعه من الألم ، يقرأ فيهما الأسى ثمّ يندلق الى اسفل . لم يكن حلما ، كانت الولادة هي وعيه ، هي دليل وجوده أو العدم..

ألم يُخلق أبوه من تراب ؟ تسفّه الريح ، او تحيله الأمطار طينا !! يريد وليدا ، يستهلّ صارخا ، فتدوّي صرخته في ثنايا روحه ، يلتحم بزوجته كما يلتحم الرجال بزوجاتهم ، يوميا ، في كل حين ، يُطعم عضلاته القوّة ، طفل يلوّن حياتهما بالبهجة ، بعد ذبول صباحاتهما وتيبّس أيامهما ، يسمعان طقطقتها تحت أقدام الفصول ، وهي تمرّ دونما ربيع ، أيام متشابهة ، أمس كاليوم واليوم كغد ، ولكلّ شيء طعم الرماد ، ولون السّواد ، اللجان الطبية تؤكد أنهما سليمان ، إذن فهو القدر ، القدر الذي يقف متفرجا ، ينظرُ إليهما ضاحكا ، يهمسُ لهما : قدر من الصّبر " الصّبر قدركما ، يقولون عندما يُغلق القدر بابا يفتح نافذة من مكان آخر، وهي تنظر من تلك النافذة ، فترى اطفالا في الحديقة ، اطفالافوق التلال ،اطفالا يسبحون في النهر ، جميعهم يبتسمون ، يرفعون اكفّهم الصغيرة لتحيّتها، ايامها جميعا مطرّزة بالأحلام ، رغم الأسى الّذي يُكابده زوجها ، وذات صباح قصد شجرته اليابسة كعادته ، اصابته الدهشة وهو يرى برعما اخضرا ، يخرج من جذعها ، يكاد يسابق أقدامه في العودة ، ليخبر زوجته بالأمر، فيجدها ممدّدة أسفل النافذة شاخص بصرها إلى السّماء ..

أصابع خشنة ..

ألقى بجسده المتعب ، على أقرب أريكة في المقهى ، أذناه مشوهتان ، وأنفه كأنّه كتلة متدليّة من اللحم ، مثقوبة من الجانبين ، لسحب الهواء ، تدور نظراته يمينا وشمالا ، وكالعادة كل شيء ، يبدو له وئيدا ، بليدا ، صامتا...

حرّك سبابته الى الأسفل بشكل دائري ففهم عامل المقهى إنّه يطلب قدحا من الشّاي..

هل هو حزين لحالته هو ؟، بلى""

وحزين على حال دنيا فقدت لسانها ، فتساوى فيها الأخرس والناطق ، نعم ، وصار الجميع يتفاهمون بلغة الإشارة ؟ ، الصّمت ، الوجوه مكفهرّة ، عبوسة ، الابتسامة نادرة الحدوث ، والناس تكاد تنسى الضحك ، فلا أحد يعرف مايبتغيه الآخر، والكل يعانون من قيد في النفوس ، يُمسك ألسنتهم ، وصمت يحبس كلماتهم ، قيد يصعب فكاكهم منه ، ماهذه القوّة المسلّطة ؟، تجد الناس يتسابقون للوصول الى شيء ، ثم يتفرقون عنه حين يجدونه تافها ""

إشرب الشاي ، قبل ان يبرد..

كررها عليه "" عامل المقهى ، وحين بدا له مشدوها غائبا عن الوعي ، تركه"" ..

مصدر كسبه وعيشه ، تنظيف وتنظيم الحدائق المنزليه ، يعزق التراب ، يقلع النباتات والأعشاب الغريبة ، يقص الاغصان الزائدة ، لم يشعر بوجودها بادئ الأمر ، ولمّا وضعت كفّها على كتفه ، جفل فاقشعرّ جلده ، كانت الأرملة صاحبة المنزل تلبس ثوبا شفافا ، يلتصق بجسمها ، ويُظهر مفاتنها ، سرق بنظراته وهو مُطأطئ الرأس ، مشاهد مثيرة ، أختزنها في عمق ذاكرته ليجترها فيما بعد ، ولأنها المرّة الأولى ، ، فقدأخفاها عن نفسه خجلا ، لكنّه شعر بلمسات أنثى ، هل كانت تتعمّد إثارته وشد انتباهه اليها ؟ وجد هذا ممكنا ""، لأنّها محرومة مثله ، هو بلازوجة بعد أن فقد سمعه بسبب الإنفجار ، وهي كذلك توفي زوجها بإنفجار آخر، وكلاهما يتقاسمان الحرمان والحسرة..

اتفقا على أجرة العمل ، مقابل ان يباشر سقي وتنظيف وترتيب حديقتها ، كان يأتي لأداء عمله كل شهر، كانت تقدّم له الطعام والشّراب ، تهتم وتتودد له ، ولمّا شعر بذلك ، صار يأتيها كل اسبوع ، ثمّ صار يعد الأيام ، ثمّ بعد ذلك الساعات والدقائق ، يسرح معها ، يمرّ بكفّه الخشن على نعومة التراب ، يعزقه بلطف ، يساويه ، لم يكن يشعر بنعومة الأرض من قبل ، برائحتها حين يمتزج بها أوّل الغيث ، بالوان الورود والزهور ، بعبق رحيقها ، بهياجها ، بتأوهاتها ، كلّما داعب المناطق اللّينة ، الرخوة ، تتفجّر بداخله ثورة ، تتأجج ، تشتعل..

لاحظ عامل المقهى تصبب عرقه ، فمدّ يده على كتفه ، ثمّ اشار اليه:

هل ستشرب الشاي باردا ؟

جروح في الوقت..

تمتلك هي نسخة ثانية من مفتاح شقته ، باتصال هاتفي اعلمته انها بانتظاره ، أخبرها أنّه خرج من الشقة في مشوار لجلب بعض الحاجيات ، وهو حاليا في طريق العودة ، انطلق خياله ليبتلع الوقت المتبقي لوصوله""

اجتاز اشجار الآس ، التي تشكّل سياجا مفتوحا امام الممر، خطوات تفصله عنها ، صعد درجات معدودة ليقترب من باب الشقّة ، وبينما كان يفتح الباب ، استوقفه صديقه الذاهب الى الجهة المعاكسة وقطع عليه خيالاته المتتابعة""

قال صديقه :وددت اسألك باعتبارك طبيب بيطري!!

الطبيب البيطري : تفضل " قالها على مضض.

قال صديقه : دجاجتي الكبيرة يتساقط ريشها ، وصارت تبيض بيضة واحدة كل يومين ، بعد ان كانت تبيض يوميا.

الطبيب البيطري : لعلّ المشكلة في غذائها ، أو تدفئة مكان مبيتها في هذا البرد القارص.

ثم عاد الطبيب يسرح في خياله ، فتح باب الشقة، فداهمه عطرها الفرنسي ، واطلقت ذراعيها لاحتضانه ، فراح يداعب شعرها ، ويقبّلها"""

قال صديقه : دكتور ، دكتور، يرفع صوته ، والطبيب سارح في مكان آخر.

الطبيب : تفضل "" قالها وهو ينظر الى ساعته وتتصاعد انفعالاته.

قال صديقه : النعجة يادكتور تنام كثيرا ، كانت تلد مرتين ، لكنّها توقفت هذه السنة عن الولادة وانقطع حليبها.

الطبيب :لعلها صارت كبيرة السّن ، وهمَّ بالإنصراف "" ليلتحق بحبيبته ، فقد أضاع الكثير من الوقت ، حملها بين ذراعيه وهي تتغنج ، وتضحك ، حتى باب غرفة النوم ، وكاد يلقي بها على السرير، لولا ان صديقه تبعه وأمسك به من ذراعه..

قال صديقه :سؤال أخير يادكتور، البقرة تسعل دائما ، ولم ينفع معها اي علاج.

الطبيب على عجل : لابد ان الماء الذي تشربه غير نظيف..مع السلامة ،، مع السلامة ، وانطلق مسرعا وهو ينظر الى ساعته ، ويأخذ القلق منه مأخذا ، لأنّه تعطّل كثيرا ، ولدى دخوله الشقة ، لم يجد سوى بقايا عطرها.

تعاطي الأوهام..

يريد ان يتعلّم كتابة القصص القصيرة من الصفر ، فيرشده عقله الى كاتب مشهور.

يقول الكاتب : إنّي شرحت له كيف يكون كاتبا عملاقا ، لايكتب بشكل تقليدي ، انما يكتب بصورة ادهاشية بحيث يثير القارئ ، ويجعله يطلق خياله في فضاءات واماكن ليس لها حدود ، ويستدرجه رويدا رويدا الى زمن يتلاشى ويتلاشى معه الحدث ، بحيث يتراءى له انّه يتحوّل الى كائنات غريبة وأحوال عجيبة.

ويقول : وقف الطالب مذعورا ، وولّى هارباً.

يقول الطالب : تراءى لي وهو يتحدّث عن التحوّل ان رأسي صار كرأس الثور ، اشعر به ثقيلا فوق اكتافي ، اخذت قروني تبرز وحجمي يكبر ويكبر ،شيئا فشيئا ، كنت اشعر ان جلدي صار اكثر سمكا ، يغطيه شعر كثيف اسود ، صرت مولعا بأكل الحشيش ، والتجوّل مع البقرات ، كنت برفقة البقرة البيضاء على الدوام، حتى اشتد تعلّقي بها ، وشغفي بقدوم موسم التزاوج ، وذات يوم منعوني من الخروج مع بقرتي الحبيبة الى الحقل ، وبّدأت الظنون تعتمل في رأسي ، ويتسلل الرّعب الى أطرافي ، وأصبح جسمي كلّه يرتعش ، حين دخل الكاتب من باب الحضيرة ، وهو يحمل بيديه سكينا كبيرة وقد تحوّل الى قصّاب ، فقلت

في نفسي) ياروح مابعدك روح (، ادركت الباب بسرعة البرق، وامتطيت أقدامي وكأنّي أسابق الريح.

يقول الطالب : بعد هدأتي ، واستعادة انفاسي ، جلبت الورق وامسكت القلم ، وقلت في نفسي ،،لن اجعل تجربتي مع هذاالكاتب المبدع تمر هكذا !!وسأكتب ماجرى بعدذلك بأسلوب مختلف ، هرعت مسرعا لأمسك طرف الشارع ، كان سّواد الليل يخيّم على المكان ، اركض فتركض الأشجار العالية كأنها طناطل1*، تقهقه بضحكات مخيفة على جانبي الطريق ، وفصائل من الجن على شكل كراديس ، تتدرب هنا بالمسيروهناك بالهرولة، وتجلس حضائر بشكل حلقات ، ليشرح لهم ضابط الصّف كيفية استعمال السّلاح ، كنت أرى تلك المناظر بشكل خاطف ، حتّى وصلت البيت ، كان الظلام دامسا ، وكنت أخشى ان تفتح والدتي الباب ، فأراها أو تراني بشكل مرعب ، لكن والحمد لله ، انتشر الضوء في كل مكان ، ليعلن اشتغال الطاقة الكهربائية بعد انقطاع.

مسالك الشيطان...

يجتاحني النّدم ، كدخان كثيف ، اسود ، يهمي بالسّخام ، يستولي على ضميري ، ويزداد عذابي أكثر ، حين يتهرّب زوجي منّي ، كي يلملم اشتاته ، من أثر الصّدمة.

-اقتلني فلم اعد احتمل العذاب!

لكنّه يمضي الى وحدته , يدسُّ رأسه بين ركبتيه ، فأسمع نشيجه ، وكأنّه يُقطّع احشائه ، تسألني طفلتي : مابه ابي ياأمّي ؟ فأُحار كيف اجيبها واتمنّى لوتبلعني الارض.

اخيرا قرر زوجي ، مغادرة المدينة ، والعودة الى القرية.

في محطّة انتظار القطار، هو يُمسك الطفلة بيد ، والحقيبة باليد الاخرى ، بينما اقف انا على مسافة منهما ، قررت بداخلي ، ان انقذه ، وانقذ نفسي من العذاب ، بأن اركض باتجاه القطار ، قبل توقفه ، والقي بنفسي على سكته ، فيدهسني...

انظر الى الافق البعيد ، اترقّب ظهور وجه عربته، وسماع صوت النحيب ، يصدر عنه ، وسعال الدخان من انبوبته.

اجول ببصري الى اعلى ، ، اسراب من الطيور تجوب الفضاء ، اتخيّل انّي اطير ، اهرب معها ، لكنّي اتحسس جسدي ، فأجده ثقيلا ، كأنّه كتلة من حديد.

لم يكن جسدي بهذا الثقل ، قبل الحادث ، حادث تحوّل الى عذاب ، لوعة ، مرارة بطعم العلقم ، كان الشيطان يترصدني ، يتمثّل لي بصورة شاب وسيم ، مثير ، يقف في باب شقته المقابلة لشقتنا ، يرصّد حركتي ، كلّما اخرج لالقي بالنفايات ، في سلّة القمامة ، كنت في البداية ارفضه ، أميل بوجهي عنه ، كي لاأنظر اليه ، لكنّه بمرور الوقت ،اضحى يجذبني اليه ، نتبادل النظرات ، ثمّ الابتسامات ، والجاذبية بيننا تشتد ، كان زوجي كالعادة ، يستيقظ مبكرا ، يأخذ بيد طفلتنا الى المدرسة القريبة ، قبل ان يذهب الى عمله ،وابقى وحيدة ، أُشغل نفسي بتنظيف الشّقة ، والقيام بالفعاليات اليومية ، من غسل الملابس ، مسح البلاط ، تحضير الطعام ، ثم اجلس لمطالعة الكتب ، ساعتها ، ضحى ، في وضح النهار ، كان الممر بين شقتينا خاليا ، دخل خلفي مسرعا' اغلق باب الشقة ، باغتني بالقبلات ، كنت ادفعه عنّي ، فيعود لاحتضاني وتقبيلي بعنف ، واخيرا استسلمت له. +++

في هذه الاثناء ، كان زوجي قد عاد لأمر ما ، ورأى بأم عينيه مسرح الخطيئة ، خرج الشيطان مسرعا ، بينما وقف زوجي مصدوما ، مذهولا ، مرتبكا.

القطار قادم ، أسمع صوته يقترب ، ينفث الدخان ، من انبوبة في رأسه ، يقترب اكثر فأكثر ، ركضت باتجاهه باقصى سرعة ، حتى صار بيني وبين الموت خطوة ، خطوة واحده ، وينتهي كلّ شيء.

ذاكرة الثّلج

هل كانت تلك الكتلة البيضاء التي تتراءى في الضباب ، دبا قطبيا يتبختروسط الصقيع ؟

أنت الآن في كوخ تشكَّل من الاغصان المتشابكة ، وسط الكوخ حفرة هي موقد للنار، كنت انت وحبيبتك في موسم التزحلق على الجليد ، وتقطعت بكما السّبل إثر عاصفة ثلجية ، حالة تتكرر في مواسم التزحلق ، لذلك فكرتما بجلب الطعام الكافي والشراب ، الشاي والقهوة أكيد على رأس الحاجيات ،الوقت يمضي هكذا : تعدان الطعام على مهل ، تأكلان منه ، أحدكما يضع الطعام بفم الثّاني ، تعدان القهوة ، تشربانها ببطئ، تعدّان الشاي ، تشربانه رشفة رشفة ، تتبادلان كلمات الحب ، النظرات ، اللمسات ،الاحتضانات ، ال ....، حتّى يدرككما الليل ، فيسرقكما النوم..

خيالات مبعثرة ، لاطاقة لك بردّها ، وتجد نفسك مجبرا على الخوف ، والخضوع لأمر انت تجهله ، باب الكوخ واسع ، لكنّ اكوام الثلج المتراكم عليه ، ضيّقت فتحة الباب ، ولذلك تضطر لدخوله منحنيا ، تغلقه بعد دخولك بقطعة مكسورة من زلّاجة ، وفيها ثقب صغيرتنظر من خلاله الى الخارج ، بياض كثيف إلى عنان السّماء ، يعدم الرؤيا ، لكنّ حاسّة السّمع وحدها ، تستطيع من خلالها التّنصّت على أصوات ، خربشة ، خشخشة ، صفيرعواصف ، قهقعة دببة قطبية ، واحيانا تشعر باقتراب رائحتها ، أو انوفها السوداء..

كان قطيعا من الدببة ، يطوّق الكوخ من جميع الجهات ، ويحوم حوله حتّى طلوع الفجر ، وفي اليوم التالي ، يعثر الصيادون على مااعتقدوه جثتين في عرين الدب ، وحين يتفحّصون المخبأ من الداخل ، يجدون رجلا وامرأة لايزالا عاريين.

صراع خارج الحلبة...

اترك الأرض !! ،إيعاز يأتيني وأنا في أرض قاحلة ، لاشجرة فيها ، ولاجدار ، فأضطر للتفكير بتسلّق الفراغ ، لمجرد الهرب بعيدا عن الضابط ، أركض في كل الاتجاهات ، كلانا يعلم انّه لاشجرة في المكان ، ولاجدار ،انا والضابط ، لكنَّه الأمر العسكري ولابد من تنفيذه !!

اترك الأرض !! إيعاز ظل عالقا في ذهني ، وصرت أرى المستحيل ممكنا، أواجه به صلابة الحياة وقسوتها.

ليليث...(*)

خرجت لي من رحم الحلم ، ، خلعتْ عن جسدها ثياب الريش ، وتسللت الى فراشي ، موهبتها الغواية والاغراء ، تتجوّل في احلامي ، بجسدها الناعم المكتنز ، وسيقانها البيض ، بأثدائها الممتلئة ، وشفاهها الكرزيّة ، لم أُصدّق نفسي، حتّى أصابني البلل ، فاستيقظت من نومي منتشيا ، على اصوات ضجيج سوق الغزل ، نباح كلاب ، تغريد بلابل ، صريرحركة عربات قديمة ، اصوات بائعين ، أُصافح بعيون ناعسة منارة سوق الغزل ، من شباك غرفتي ، قبل ان أسوق جسدي المتهالك الى الحمّام ، وبدافع الفضول دخلتها ذات يوم ، صعدت سلما ونزلت من سلم آخر ، اصابني الذهول ، حين وجدت أنّ الصاعد الى اعلاها ، لايرى النّازل الى اسفلها.(**)

سوق الغزل..(*)**

أتعكّز خطاي بقدم البلاتين ، أتدافع مع الزحام ، لأفتح طريقا ، أُمررمن خلاله قفص الحَمام ، كنت أجد صعوبة ما، لكنّي تعلّمت كيف أجتازها ، عشرة اعوام أمضيتها في الحرب ، كانت كافية لأتعلّم كل شيء ، الجوع والعطش ، كيف أُمرر جهاز اللاسلكي ، بين الاحراش ، الاسلاك الشائكة ، أخوض به المستنقعات ، أراوغ به الموت فوق الارض ، وأخاتله في الحفر والمواضع القتالية ، ورغم الحذر اصابني الضرر، شظيّة مدفع بترت احدى ساقي ....في السّوق ، أكسب القليل من المال ، أشطره شطرين ، احدهما لنفسي ، والآخر لعائلتي، ماكان لنفسي أشتري به السيكائر ، وأشتري بالآخر مايتيسر من قوت اليوم ، وبينما أسلك طريقي المعتاد في سوق الغزل ، يستوقفي صراخ الناس ، وهم يتجمهرون على حلبة عراك بين الديكة ، يتراهنون فيمابينهم ، ايهما يدمي صاحبه ، أتساءل في نفسي)ياترى لماذا يتقاتلان (، كنت أُراقب عيون الناس الجاحظة، وافواههم المفغورة ، وانفعالاتهم ، كلّما يشتد الصراع ، تراهم يرفعون اذرعتهم ، ويتقافزون على ذات الايقاع ، وكأنهم هم من يتقاتل وليس الديكة .لم أمكث طويلا حول حلبة العراك ، لأنّي سأمت مناظر الدماء، وفي ذلك اليوم فقدت شعوري ، فصرخت بالديكين المتقاتلين.. اتركْ الأرض.

(*)ليليث : ورد ذكرها في الاساطير السّومرية وروايات اخرى في التراث اليهودي انها رمز للغواية والشهوانية تتسلل الى احلام الناس لتحقيق مآربها.

(**)منارة سوق الغزل : منارة قديمة أعيد ترميمها بمراحل تاريخية مختلفة ، يُروى انها بُنيت على الطراز الفارسي وأن من باشر ببناءها معمار إيراني لكنّه لم يكمل بناءها وهرب الى إيران ، فأكملها عامله البغدادي وابدع في بناءها ، ومنها ابتكار السّلمين المنفصلين للصّاعد والنّازل ، ولمّا عاد المعمار الإيراني بعد فترة ، ووجدها منجزة بهذه الصورة الرائعة، صعد الى اعلاها والقى بنفسه منتحرا.

(*)سوق الغزل : سوق وسط بغداد لبيع مختلف انواع الحيوانات ، كالكلاب ، الطيوربانواعها ، والعلف..الخ**

الخيط الرفيع..

يركض في مضمارالعمر ، يدور على ذكرياته ، حتّى لايبقى سوى هياكل هشّة ، يلوذ بها من عاصفة الموت الآتية ، ينتبه عند هطوله كالثّلج ، فيعود الى نفسه ، يمسك خيطا رفيعا ، يستدل به على خطاه نحو المصير...

كل يوم جمعه ، يزور قبره ، يرش على تربته ماء ، يركز سعفة رطبة ، عند تراب رأسه ، يذرذر فوق الجمر بخوره فيتعالى الدخان ، وتنتشر رائحته في ارجاء المقبرة ، تتموج أصوت ترانيمه وهو يتلو القرآن ، على طبلات الاسماع ، حتّى بات يشعر بنشوة تعتريه ، واصوات تأتيه من داخل القبر ، شكرا ياجاري الوفي ، ينطفي الجمر فيعود ادراجه مسرورا..

جاره ابو سليم ، بعد ان توفيت زوجته وتزوج اولاده ، بقيّ وحيدا في شقته ، تأثّر كثيرا بوفاتها، كان يداوي وحدته بادئ الامر ' بالتسبيحات وقراءة القرآن ، ثمّ غلبته غريزته الجنسية ، فصار متهوّرا ، وعبثيا فاسقا، يجلب المومسات الى شقته ، تحت جنح الظلام ، ثمّ يصرفهنّ مع تنفّس الفجر، كان جيرانه يشعرون بما يفعل ، لكنهم يخجلون من تاريخه المشرّف وتاريخ عائلته ، فيغضون البصر عن تحوّله ، ويترقبون رجوعه الى ماكان عليه ، منهم من يشير عليه بالزواج ، وآخرون يبررون له مايفعل بسبب وحدته ، بعد فترة أمضاها على هكذا منوال ، شعر الجميع بغيابه ،لادخول ولاخروج ، إنقطعت الحركة على باب شقته

أياما ، حتّى فاحت من داخلها رائحة نتنة ، تجمّع جيرانه وأخبروا الشرطة ، وحين كسروا بابها ، وجدوا جثته ملقية على الأرض ، والى جانبه شريط من حبوب) فياغرا.(

إعتراف...

في أي مكان ، قد يفقد الوعي ، فيهوي في ساقية – بئر -نار -من حائط - سطح الدار ، أو أيّ شيء يسبب له الموت.

انتزعت من عقلي الباطن ، واحدة من حماقاتي الكثيرة ، قبل خمسين سنة ، كان صباي عبثيا ، وأغلب تصرفاتي أظنها لعبا ، حتّى ماكان منها مميتا..

هو من اصطاد الحمامة ، نتف ريشها ، أفرغ أحشائها ،غسلها في السّاقية ، وضعها جانبا بقصد شواءها ، وبعد عناءه وتعبه ، قمت أنا بتمريغها في التراب ،، اصابته موجة من الغضب ، صرخ فجأة بأعلى صوته ، تخشّب وهوى على الارض ، بدأ يرتجف ، انقطع نفسه ، انكمشت اطرافه، أخرج لسانه ، وبدأ الزّبد يندلق من فمه..

صورة جسده المزرَق ، و بصره الشّاخص الى السّماء ، كأنّه يغرغر للموت ، لاتفارق خيالي، كلّما استعرض الذنوب التي اقترفتها في حياتي..

اصابني الخوف فهرعت راكضا ، أخفيت نفسي في خرابة ، ضمن الطرف البعيد من بستان النخيل ، حتّى جنّ الليل ، فعدت أدراجي الى البيت مرعوبا ، يلتهمني الظلام ، وتسللت الى فراشي بصمت....

يتناقل الناس أن إبراهيم مصاب بالجنون ، وهذه المرّة الأولى التي اشاهده فيها على هذه الحال ، لم أسمع بنوبات الصّرع من قبل ، وأنها تأتيه في فترات ومواقف معينة...

ذات ليل كئيب ، انتشر الناس في البستان ، وهم يحملون الفوانيس ، يبحثون عن إبراهيم ، ينتابهم القلق ، الوقت يمضي بصعوبة ، حتى صاح احدهم لقد عثرت عليه ، فانفرجت أسارير الناس ، إجتمعوا حوله ، اشتد معهم ضوء الفوانيس المجتمعة ، فبانتْ جثتة ، غريق ممدد في السّاقية.

إختفاء قسري...

لايأتيه النوم إلا معلقًا في عمود ، صنعه حدّاد محترف ، يمتد افقيا فوق السّرير ، تتوسّطه حلقتين ، تتحركان يمينا وشمالا ، لوضع قدميه ، كلّ شيء في حياته صار مقلوبا ، حتّى احلامه!!

يرى النّاس رؤوسهم في الأسفل ، وأقدامهم في الأعلى ، ألاشجار جذورها في الأعلى ، الأنهار يجري فيها الماء وهي مقلوبه ، الجبال ، الأبنية

كلّ شيء..

صار يمتدح الزعماء ، ويثني على حملة البنادق غير المرخّصة ، والمجاميع التي تمتلك السلاح والمال ، يرى تسلطهم حلالا ، وتصرفاتهم بمنتهى اللياقة ، ثقافتهم عالية ، وتعاملهم مع الآخرين يتحلّى بالأدب..

شهور أمضاها في زنزانة ، ينزل الدم في رأسه ، تتورم عيناه فيتهاطل منهما الدمع ، يفقد الاحساس بأطرافه ، ثمّ يغيب عن الوعي ، ساعات تمضي في كل يوم ، وهو معلق من قدميه في السّقف..

عند نهاية كل شهر، تقف سيارة رباعية الدفع ، بدون لوحات تسجيل ، امام واجهة الاسواق التي يمتلكها ، يحاول اقناعهم انه يدفع خُمسَ إيرادات المحل، لكنّهم يجيبونه أن لاعلاقة لهم ، وفي كلّ مرّة يسلبونه حصّتهم من المال ، ثمّ صار ان مجموعة اخرى تأتي في منتصف الشهر، ومجموعة ثالثة تأتي كل عشرة ايام ، حتى بات لايتمكن من توفير لقمة العيش لعائلته..

اختفى الرجل فجأة عن الانظار ، كثّفت عائلته مراجعة الجهات الحكومية ، للإستفسار عن مصيره ، لكنّ اجابتهم دائما انّه لاعلم لهم.

خرقْ لحضرالتجوال...

شعرتْ بالضياع ،لأنّها الوحيدة ، بين أُنثيات كثيرات ، ، أصابتها صدمة أفقدتها صوتها ، ظهرت لها أفعى من بين الاحراش ، تفغر فمها ، ترمش بلسانها الطويل ، وتشير به نحوها ، غطستْ لتختفي تحت سطح الماء ، وهي ترتعش من الخوف ، ولمّا شعرت أنّ الافعى غادرت المكان ، خرجت من الماء ، وعرضت جلدها الرقيق لأشعة الشّمس ، صارت تنطوي على نفسها ، فتنسحب عند منافسة الأُخريات على الذكور ، كان الوحيد الذي يرى في عينيها ، زرقة الماء ، الإخضرار ، واشياء اخرى ، لايدرك كنهها ،ويعلم يقينا ،انها تعيش في فراغ عاطفي ، وانها بحاجة الى جسد آخر ، يملئ معها الفراغ ، لكنّ صمتها يقف حائلا دونه ، ويمنعه من مباشرتها ، فينصرف عنها...

ينتهي موسم الضجيج ، وهي تكابد محنتها ، وتتوسّل القدر ان يعيد اليها صوتها ، صارت تتجوّل في كل مكان دون خوف ، بعد ان فقدت الامل ، ويئست من الحياة ، وبينما هي على تلك الحال ، صدمتها الأفعى بالظهورمرّة أخرى ،فاختفت ايضا لكنها شعرت بعودة صوتها...

ذات صباح ، خدعتها تقلبات الجو ، واستعجلت فصل الربيع ، وظنّت أنّه ربيعا آخر ستعوّض به عمّا فاتها ، فتخلّت عن سباتها ، وخرجت للتزاوج ، وبينما كانت تعبر المستنقع انخفضت درجة الحرارة مرّة أخرى ، فتجمّدتْ.

خروج من مكامن القوّة..

صفق الباب الخشبي المتهالك ، خلفه ، صمتت كلابه فورا ، ولج في الظلام ، على ضوء شمعة معلّقة ، يُحرّك تيار الهواء بعض الوجوه يمينا ، والأخرى شمالا.

الوجوه التي امامه تقترب..

راح يبحث عن وجه ، بعد ان اضاع وجهه في مفترقات الطريق..

وجه ضاحك ؟ لا..

وجه حزين ؟ لا..

وجه مخيف ؟..

كان وجهه يبتسم للآخرين ، يفتح شدقيه على مصراعيهما ، فيظنونه أبله ، سلوكه الطيّب جلب له المآسي والإحباط ، اقرب صديق له خدعه ، واستطاع ذات يوم أن يستدرج فتاته التي أحبها ، الى وكر الشيطان ، انتهك عذريتها وراح يساومها ، أجبرها على مطاوعته إلى ذلك الوكر اللعين، وقع هذا الخبر على مسامعه كالصّاعقة ، اجتاحته دوّامة الحزن ، يصارع الكآبة في نفسه ، كيف يمنح الآخرين ثقة عمياء ، لِماذا لم يضع لذلك الحب سياجا يحصنه ، حتّى بات يتمنى لو يختبئ في جدار ، او يتحوّل جسده الى دخان ، يشتته هواء..

أوصدت عينيها دونه ، بعد ان كانتا نافذتين يطل من خلالهما ،على روحه الهائمة ، وزمّت شفتيها على الصمت ، ماتت على صدر كرامته ، فضاق بها ذرعا ، وقرر ان يلقي بها عن كاهله..

يتسلل الى وكر الشيطان ، بعد ان يتأكّد من وجودهما بداخله ، ومع كل خطوة يخطوها يشعر أنّه يقترب من منظر الخطيئة ، لجسدين عاريين ، متحاضنين ، متعانقين ، فيتلذذ بحرارة الدم المسفوح ، بعد أن يذبحهما ، ويفرغ الغضب الذي يعتمل في عروقه ، استلّ سكينه من مكمنها، لمعت بوجهيهما فتعالى الصراخ ، ليستيقظ عن كابوس.

شعر بارتياح لم يعهده من قبل ، بعد معاناة من اللوعة والعذاب ، واستطاع ان يروّض نفسه ، ليصبح شخصا بوجه أخر وقلب آخر ، تمكّن من تمزيق شرنقته ، خرج منها سالما ، فأبصر طريقه..

اجنحة النار..

يوقظ روحه ، فيدركها تجترلحظات الحب ، لايجد لحظة واحدة مفقودة ، يجلس إلى ماتيسّر من الجمر ، يُلقي مابقيَ لديه من بخور اليأس ، يترقّب ظهور فرس احلامه ، فتظهر له بيضاء من ثنايا الدخان الكثيف ، فيمتطيها على اجنحة النار، يلكزها وهو فارسها القوي ، فتشعر بالفخر ، وتنطلق جامحة في فضاءات التلذذ..

يقول لي : انت تكثر التلميح ، وتحاول تصويرالموضوع ، على أنّي امتطي ظهرا آخر ، وليس ظهر الفرس.

قلت له : لن اجيبك في الوقت الحاضر، لأنّي مشغول ، في إدارة الصراع للوصول الى هدف ما!!

تتسلل الرغبة لديه في عروق العطش ، تجري الى بؤرة الجسد ، تتأجج عند حدود الفوران ، تغلي وتغلي ، حد الأزيز..

قالت له :سنركب الموجة القادمة ، مادمنا نجيد العوم ، ، فكن مستعدا..

قال لها وهل تجيدين ركوب الموج فعلا ؟

لنمتطي اللوحين اذن ، ونتوغّل في البحر ، سننتظر الموجة القادمة نحو الشاطئ ، واحرصي على أن نعتلي الوجه الأمامي للموجة المتحركة ، لنرتقي فوق ظهرها!!

يقول لي : يبدو أنك تصرُّ على التلميح ، وتكثر الحديث عن الظهر ، كن شجاعا ياصديقي ، لقد دمّرت لي رغبتي!!

قلت له الافضل لك أن تنام ، وتحتفظ بطاقتك لتستيقظ مبكرا ، وتؤدّي وظيفتك على اكمل وجه ،

يستغرق في نومه ، فيرى الشواطئ ، وقد تراكم فيها الزّبَد ، والنوارس والأسماك الميّتة ، التي تقيأها البحر..

الضمير...

ولد بلا جسد ، الحاضرون سمعوا صراخا ، دون أن يروا وليداً ، بدا لهم كصوت الهواء العاصف ، أطلق على نفسه اسم وليد ، يقف طويلا امام المرآة ، يحرّك يدية ورجليه ، يحرّك رأسه ، لكنه لايرى نفسه ، وكلّما يمر من امام المرآة يعيد نفس الفعل، حتّى ايقن أنّه يشبه الهواء ، موجود دون ان يراه احد ، كان يتمنّى لو أن أحدا في هذا العالَم يناديه بإسمه ، لكن لا أحد..

في المدينة العريقة ، يشارك الحمائم البيضاء طيرانها ،خلف المداخن ، لكنها لاتشعر به ، تعلّم من البلابل كيف يُغرّد ، لكنّه اضاع وجوده في إختلاط الاصوات ، هل أنا شيء مهم ؟ أنا لاشيء ، لاأشعر بنفسي ، ولا أحد يشعر بي ، ولابد ان أفعل شيئا ، ليكون لي جسدي الخاص..

ينساب ليلا في الأزقة والدروب ، يسمع البكاء والنحيب ، يصدران من بعض البيوت ، والضحك والقهقهات من بيوت اخرى ، يسمع التأوهات آه من ألم الفقد وألم الجوع ، وآه من لذة الأستمتاع ، أسرار خلف الجدران ، يتطلّع اليها يرصدها ،يتأثّر بها ويتأوّه مع المتأوّهين ، لكنّه لايستطيع أن يفعل أكثر من ذلك..

في الثلث الأخيرمن الليل ، مرّ وليد على رجل يُحدّث نفسه ، ياقوتة حمراء ،اغمسها بخليط زيت الورد وعسل النحل ، إلعقها أربعين يوما على الرّيق"" وفعلتُ!!

تجمع ماء الغيث في طست ، تمزج فيه زيت السّندروس ، وزيت خشب الصّندل ، وزيت الاوكالبتوس ، ثم تضعه على نار هادئة ، وتغتسل به انت وزوجتك ليلة الجمعة وفعلنا!!

لم يترك هو وزوجته وصفةً إلا فعلوها ، للحصول على وليد ، كان وليد يتمنى لو أنّه يتجسد ، فيأكل ويشرب ويعمل كبقية الناس..

مع شهقة الفجر ، شعرانه يتسلل الى رئتي الزوجة ، ثمّ دمها ، ليصل إلى رحمها ، كان الزوج سعيداً ، وهو يرى بطن زوجته يكبر، وكذلك الزوجة تشعر بالفرح يغمرها حين يتحرّك الجنين ،..

استهل وليد صارخا بعد أن أكمل تسعة شهور ، وشكر الله أن منحه جسداً.

ذاكرة الرمل (Sand memory)

*** التكوين ..**

من بين عدد لايحصى من حبّات الرمل ،بالقرب من ساحل البحر المالح ، ساقني المدُّ أو الجزر ، لا أذكر في حينها،من فتحة ضيقة ، الى داخل هُلامي،احاط بي من كل جانب،يحرّكني عن موضعي بين جدران صلدة برّاقة ، محاولا قذفي الى الخارج ، ثمّ يجعلني ساكنا بعد ان ييأس من محاولاته،يحيطني بنسيج ستائري ، يفرز حولي طبقات متتابعة من سائل جيلاتيني،كنت اسبح بداخله في البداية ،ثمّ مالبث طويلا حتّى بدأ يتماسك ويشتد صلابة ،يتكوّر حولي رويدا رويدا ويأخذ شكل كرة ملساء ، يزداد جسدها نعومة وبريقا بمرور الوقت ،وحين اكتملت دورة حياتها، وصارت تنتظرمن يقتنصها،اتاها من يخرجها من القاع ، ليعرج بها الى الفضاء الارحب ،صاحب الحظ السعيد فتح بابها ، واطلق سراحها ، مبتهجا،ثمّ ضمّها الى اخواتها، فصارت واحدة منهن.

***في السّوق..**

بعد ان تداولتني ايادي الطوّاشة 1* في دول الخليج ، منها ماكان نظيفا،ومنها ماكان قذرا ، انتهى بي المطاف الى سوق صياغة الذهب والمجوهرات ، في محلّة باب الطوب، في مدينة الموصل، كانت قلادة اللؤلؤ، من المجوهرات البارزة ، تتلألأ بين المصوغات الذهبية الخالصة، أوالمطعّمة بالأحجار الكريمة ،تشغل حيزا بارزا خلف الواجهة الزجاجية لمحل الصائغ،ينعكس عنها الضوء ، فتحيطها هالة من البريق والسحر فتبدو للناظر وكأنّها تتحدث .حينما كانت الموصل مدينة عامرة ، اشترى احد اثريائها عقد اللؤلؤ،وقدّمه كهدية لزوجته ، للتعبير عن حبّه لها، فرحتْ به كثيرا ولم تدعْه يفارق عنقها منذ ذلك الحين..

***داعش والخضراء ..**

هذا العنوان يعيدنا الى الوراء ، حيث عصر الجاهلية،لانّه يرادف داحس والغبراء ، ويذكّرنا بحرب استمرت اربعين سنة،كان سببها تسابق بين حصان داحس والفرس الغبراء ، على رهان بين طرفي النزاع عبس وذبيان ، لحراسة قوافل النعمان بن المنذر، كنت في عنق الزوجة ، حين دخلت العصابة الى بيت الثري الموصلي،عناصرها قد اطلقوا للشعر الكثيف العنان في لحاهم ورؤوسهم ، ملامحهم وهيئاتهم تثير الرعب والخوف في النفوس، خصوصا وان اخبارهم قد سبقتْ بوصف افعالهم ، إنّهم ينحرون الانسان نحرا دونما وازع او رادع، اعتقلوا الثري الموصلي واقتادوه الى جهة مجهولة،غيّبوه عن عائلته واخذوا يطالبونها بالفدية مقابل اطلاق سراحة، وكانت العائلة تدفع وتدفع حتى استنفدتْ كلّ ماليديها من اموال، وفقدتْ الامل ، حينها عثر الناس على جثته ملقية على قارعة الطريق .كانت الايام تجثم على صدور اهل الموصل بثقلها، وهم بين نارين نار داعش من داخل المدينة، ونارالقذائف والصواريخ من خارج المدينة ومن سمائها،كانوا يطلبون من الناس ان يمكثوا في بيوتهم لايغادرونها !!وفيها عناصر داعش تمنعهم من الفرار كذلك، حتى استحالت المدينة الى ركام .كنت اشعر بما يجول في صدر زوجة الثري ، واتحسس مدى المعاناة والألم ،وانا اتدلّى مع عقد اللؤلؤ من عنقها الى صدرها، قررتْ بعد ان اقترب القصف من بيتها ، ان تجازف بنفسها وببناتها الاربعة وان تخرج من المدينة بأقصى ماتملك من طاقة،وفعلا استطاعت وبناتها الافلات من بين فكّي الموت،وقررت مغادرة العراق عن طريق مدينة زاخو الحدودية في اقصى الشمال الى تركيا..

***الرحلة ...**

لم تمكث ارملة الثري الموصلي كثيرا في تركيا، لصعوبة العيش بدون مورد مالي مستمر، فقررت الهجرة مع بناتها الى اوربا عن طريق البحر الى اليونان،وفي الطريق الى جزيرة كوس اليونانية،اهتزّ قارب الهاربين من الجحيم، جحيم الحرب في العراق سوريا ، بفعل تيارات مائية خطيرة ، سببتها ريح عاصفة، فانقلبت لتلقي بماعلى ظهرها من النساء والاطفال والرجال، في بحر ايجة .كنت شاهدا على اختناق ارملة الثري الموصلية ،لأني كنت عالقا في عنقها،لحظات تمتنع عن الشهيق كي لا يدخل الماء الى رئتيها، لكنّها تضطر اخيرا لاستنشاق الماء رغبة في الحياة ، تمتلئ و تمتلئ ، فتنازع العذاب حتى تموت،وبمرور الوقت تتفسخ جثتها ،وتعتاش عليها الاسماك،حتى اذا مابقي منها الا النصف التهمها الحوت،كنت اشعر وانا معها في بطنه، انّه يفرز احماضا ، جعلت عقد اللؤلؤ يتحلل ، ثمّ رويدا رويدا يتلاشى ، إلى حبّة رمل.

الطوّاشة :جمع مفرده طوّاش :تاجر اللؤلؤ

معركة غير متكافئة...

باشرت كتابة قصتها القصيرة بعنوان) طنين بعوضة (، دخلت فراشها الوثير ، في اجواء شتائية باردة ، لأراحة جسدها المتعّب ، تحاول النوم ، لكنّ طنين بعوضة ، يتردد بصوته المجسّم ، يقترب من أذنها ويبتعد ، اطار النوم من عينيها ، وجعلها تترصّد انقطاع الصوت ، المعركة ابتدأت ، وهي بين خيارين ، إمّا السُّهاد أو قتل البعوضة ، هبطت على خدّها الايسر، رفعت كفها فطارت ، انتظرت طنينها مرّة اخرى ، هبطت على خدّها الايمن ، رفعت كفّها ثانية وثالثة وعاشرة...، وفي كل مرّة تسبقها بالطيران ، ولم تتمكّن من قتلها ، انتظرت بعدها طويلاولم تسمعه ، وقالت في نفسها لعلّها ابتعدت..

وقعت كاتبة القصة هنا في معضلة ، هل تدع بطلة قصتها تستسلم للنوم ، وبذلك تكون قد خسرت المعركة ، ام تبقى صاحية تترصّد البعوضة ؟

احتاجت هنا الى استشارة صديقتها الناقدة ، قالت لها :ان مهمتي ليست المشاركة مع الكاتب في حل المعضلات!!

قالت في نفسها : سأجعل بطلة القصّة تعد الى مئة خروف ، فان عاودتْ البعوضة طنينها ، تبدأ الصفحة الثانية من المعركة، وإلا فإنها ستضطر للاستسلام ، تنام وليكن بعدها مايكون ، استيقظت بعد مصارعتها للنوم ، نظرت في المرآة فوجدت عليها عشرات من النقاط الحمر.

شارونا..

ثمّة اضواء خافتة في زوايا القاعة ، لاستطلاع اشباح الكراسي الفارغة ، للقادمين الجدد ، يدق جرس لأيقاف لغط الجمهور ، واحاديثهم التي تبدو غامضة ، يسود الصّمت ، تُزاح السّتارة عن ظلام دامس ، ثمّ شيئا فشيئا يتصاعد وميض من جانب خشبة المسرح ، ليكشف عن جثّة واقفة ، تبدو كأنّها عارية ، وغير واضحة المعالم..

تعمّد المخرج على اعتمادشخصية واحدة ، تمثّل جميع الادوار ، مستلهما قيام فنان عالمي لوحده ، بادوار شخصيات ملحمة كلكامش المعروفة..

في غرفة المكياج ، حلقوا رأسه بشفرة ، بعد ان حبسوه في كهف ، نفخوا جلده فصار شبيها بكرة كبيرة ، تنبت على سطحها نتوءات كأصابع الكّف ، اطعموه القطران والسّموم ، وأشياء أخرى ، حتّى تحوّل الى كائن يطير ، جعلوه يعيش مع الخفافيش ، فترة من الزّمن ، ثمّ منحوه قدرات خارقة ، لغرض اشعار الناس بالعجزفي مواجهته ، فالعالم برأيهم بحاجة الى تغيير.

في الفصّل الاول ، كان المطلوب ان يغنّى همسا-:

انا المرعب ، انا المميت

اغلقو دوني منافذالبيوت

لاتسمحوا لي بالدخول ،لانّني ضيف ثقيل

اتبع لهاث طريدتي ، اخنقها بقوتي

وكلّ من يسمع بي ..يصيبه الذهول..

صمت تام ، ظلام مخيف ، اصاب الرعب والهلع ، جميع من كانوا في القاعة ، وأوشك الكثير منهم ان يخرجوا ، لولا فضولهم ، وتعطشهم لمعرفة مايجري في الخفاء..

، احد المتفرجين كان يردد اغنية بأعلى صوته ، للسيطرة على الفوبيا التي داهمته فجأة..

شخص آخريصيبه عطاس متناوب ، فتهرع ادارة المسرح اليه ، يحاول اخفاء نفسه ، لكنّ العطاس المستمر يفضحه ، جهاز الفحص كان يشير الى حرارة مرتفعة ، أُلقي القبض عليه ، وتم ايداعه الحجر ، اثنان ، ثلاثة ، عشرة ، عشرات المتفرجين اصابهم العطاس ، حتّى ضجّت قاعة العرض بهم...""

صعد المخرج فوق خشبة المسرح ، افرغ الجسم الغريب من الهواء ، وشغّل الاضواء الكاشفة.

نزوح....

اهدتهم عاصفة الثلج جلدا ، حين هبّت ، فاقتلعت خيامهم ، وصارت اوتادها اوتارا تعزف البكاء ، مرّت بساحتهم فتلوّى في بطونهم الم الجوع ، وعلى قمة الخداع يجلس السّادي ، وسارق اللقمة ، ومعاقرالخمر ومدمن العاهرات ، يضحك على عذابهم.

·كانت ذكريات!!

***بحر، شاطئ رملي ، زَبَد ، اسماك ميتة ، علب فارغة ، حطام سّفن غارقة ، اشياء تطفو فوق الماء ، تتراقص لحركة الموج ، في الاسفل عند جرف البحر ، يمد بصره الى الافق البعيد ، زرقة البحر ، تلتقي زرقة السّماء ، التقاء ساحرمثير : أيّة اسرار تختزن ايها السكون ؟ اتخدعني ، فتبدو هادئا طيبا ، تغريني بالعوم ، ثمّ تهيج في لحظة ارتماسي فيك ، ، فتكشف لثامك ، تتلاطم امواجك ، وترفع القناع عن وجهك الآخر ، هل تنتقم منّي ايها البحر ؟.**

***مجرّد اشياء..**

خرز ، احجار كريمة ، سحر ، تمائم ، سبع عيون ، عظم الهدهد ، عرق السّواحل ، كنت لاأبيع كثيرا ، وربحي قليل لايكاد يسد الرمق.

اجمل لحظاتي حين التقيتها ، في ليلة رأس السّنة ، جمعنا القدر ، في المصعد الكهربائي ، تبادلنا النظرات ، الابتسامات ، كنت اشعر بسخونة جسدها ، وسنا انفاسها الملتهبة ، اشعر بصخب المكان ، وصراخ الزجاج المتصدّع ، الكلام حروف تتجمّع فتبدو احيانا كالموسيقى الصّاخبة، لكنّي اقترب اكثرفاكثر، حتى تنفتح شفتاها مع انفتاح باب المصعد ، تنزل في الطابق العاشر ، ياترى هل يمكن ان يكون قدري السعيد هنا ؟ نظراتي تجول في ممر الفندق ، تتبعها ، حتى تصل باب غرفتها ، وما ان ينغلق الباب ، حتّى ينغلق بوجهي ، المساء . فانزل من الفندق الى الحديقة العامّة ،اسمع نقيق ضفادع ، صرير حشرات ، نعيق غربان ، ضبح بوم، طبطبة مطرثقيل يداهم الارض.

***أقلب الخيال الى صفحة اخرى ، أُبحر في الأحلام قبطانا ، يُدمن السفر ، اسبوعان من شهر العسل امضيناها معا ، لكنّها لم تكن كافية..**

طيفها يلاحقني ، احلام تداهم مخيلتي ، ألتقي بها ؟ إنّي أتشوق للعوم في عالمها ، أُحرّك مشاعرها، بعد يومين من تعارفنا ، مشينا حافيين ، نتحسس خشخشة الرمل تحت اقدامنا ، كانت تبتسم ، كلما ابتسم لها ، وتبدو سعيدة ،قالت لي :الحياة مدرسة كبيرة ، تختبرك ثمّ تعلّمك ، ذات غروب ، هبّت رياح عاصفة ، يخيّل إليّ انها اتت من خيام النازحين ، جلبت معها مرّة اخرى، صراع الاماكن ، وغضب السنين فقلبت الامواج قاربنا الصغير ، وقذفتنا في لجّة البحر ، حاولت انقاذها لكنّها تفلتت من يدي ، وغابت طويلا.

فزع..

يعيش حالة هستيرية ، يضغط عليه هذا الشعور ، فيهرع حاملا بندقية الصيد باتجاه الحديقة ، ويطلق في الهواء عدة اطلاقات...

طااخ طااخ طااخ.....

اطلاقات متعاقبة ، العصافير ذات غروب ، تهتاج يرعبها احمرار الشفق ، تخاف من لون الدم ، تهرب ثمّ ترتدّ إلى الأجواء أسرابا ، يصيبها التيهَ والقلق ،ْ تستنفر الفضاء علّها تجد فيه ملاذا ، يخلو من الدماء ، ولده الوحيد كان معهم ، تختفي تلك الصّور خلف روحه الهائمة ، وجمجمته التي صارت وكرا للغربان ، وكهوفا مظلمة تنمو فيها الخفافيش ، اصوات رفرفة ، خشخشة، نعيق ، تقترب من سماعه ، تجعله يضرب رأسه باقرب حائط ، ضربات متعاقبة ، يغط بعدها في نوم عميق.

جسده يحترق ، يتلوّى من الالم ، يتفحّم ، يتحوّل الى رماد ،ثقوب في الرماد ، تتقيء النمل الاسود ، تتجمّع عليها العقارب ، والافاعي ، يصرخ ، يستيقظ مفزوعا"

تستيقظ زوجته على صراخه ،مفزوعة ، تهرع الى الشّرفة ، ترنو الى زوجها ، يتمرغ في تراب الحديقة، خمس سنين خلت ، مذ فقدت ولدها الوحيد ، بانفجار ارهابي ، استهدف تلاميذ المدرسة ، وهي تعاني هذه الحالة ، ترى زوجها في وضعيات مرعبة ، يتدلّى وسط الغرفة ، يشنق نفسه في حبل ، مشدود الى عمود المروحة ، او يقطع بالسكين شريان رقبته ،ويسقط على الارض ، يسبح بدمه ،

ذات صباح وعلى صوت الصّراخ ، هرعت الى الشرفة شاهدته يسند بندقيتة على شجرة التوت ، وسط حديقة البيت، يوجّه فوهتها الى رأسه ، نزلت مسرعة وهي تصرخ لا .. لاتفعل ، لكنّه في هذه اللحظة ، ضغط على الزناد .. طاااااخ.

طرق على الباب...

ليل، ظلام ، مطر ، شارع ، كلب اسود، يمرّ بشكل خاطف ، يعبر الشارع ، اصوات متداخلة ، ابواق سيارات ، عجلات مارّة بسرعة ، طشاش ماء ، يغادر الحديقة ، يصعد سلّم ، تقابله فتاة سمراء.

: -انت في عزلة لانك لاتغادرين غرفتك إلا قليلا.

اجابته :الا يعتبر جلوسك في الحديقة دائما ، عزلة ؟ واردفت : العزلة شعور داخلي حتى وان تغيرت الامكنة.

اشجار ، نثار ثلج ، صراخ اطفال يلعبون ، اضواء متداخلة ، نباح كلاب ، عصف شديد!!

طرق على الباب ، طاق طاق طاق

من الطارق ؟

-لا أحد

يغلق الباب ، يسمع عصف الرياح ، ثلج متناثر ، برد ، يدخل الفراش مسرعا ، فراش دافئ.

صوت اقدام ، اقدام ناعمة ، لعلّ الفتاة السمراء رجعت ، تصعد درجات السّلّم!!

يسمع طرق الباب ، طاق ، طاق ، طاق

إلحاح غريزي...

قال لي وهو يرتعش ، وجبينه يتقطّرعرقا ، انا اعلم بالضبط ، الحاح تعطشك الغريزي ، وحاجتك اليه..ضالتك نهاية الطريق ، ثلاثينية بدينه ، بضّة الجسم ، تقيم لوحدها في الشقّة المطلّة على البحر ، ولك ان تتمادى في وصف جمالها ، وتتخيّل مفاتنها لتهييج رغبتك فيها ...طريقك اليها تحت جنح الظلام، لكي يسترك الليل عن الانظار.راقت لي فكرته ، وانتظرت الى مابعد منتصف الليل وبدأت السعي اليها ، في ظلام تتسابق فيه العتمة مع خطاي المرتبكة ، وخيالاتي المتلاحقة ، اطرق الباب ، فينفتح عن مصباح ، يرسل ضوءه الخافت ، من عمق الصالة ، تشير عليّ بالدخول ، ينغلق الباب ، تتقدمني بخطوات رشيقة ، يخترق ضوء المصباح فستانها الشّفاف ، فيكشف مفاتنها ، ترتقي سلما يوصل الى غرفة نومها ، اتبعها بهياج رغبة عارمة ، لولاتعثّري بحفرة وسط الطريق ، وارتطام وجهي بالارض ،عشت لحظات من الغُمّه ، بعد انطلاق الشرر من عينيّ ، ايقنت بعد لحظات ان نظري قد عاد إليّ ، حين التمع في الظّلام وميض حدقات قط و قطّة ، يموء احدهما بوجه الآخر بصوت مرعب ، ينظران لبعضهما دون تحريك راسيهما ، لفترات قد تطول ، واعلم أنها تلك

الرغبة الملحّة للتزاوج ، مرّة اخرى أُعاود متابعة خطّواتها ، وجسدها يتمايل على السُّلَّم ، فترتسم في مخيلتي كل مفاتنها ، أدخل الى غرفة نومها ، وبينما اقترب من جسدها الممدّد على السرير ،وقبل ان القي بنفسي فوق سريرها ، تباغتني مجموعة من الكلاب ، تتقاتل فيما بينها وسّط الطريق ، وهي تُصدر اصواتا مخيفة ، وكل كلب يحاول استعطاف انثى وحيدة ، تتوسّطهم حينا ، ثمّ تتقدّم عليهم بزهو وخيلاء ، احيانا اخرى ، وهم يتبعونها بشغف ، شغلتني تلك المشاهد بقوة ، كثيرا ما كنت اراها تتآلف ،وتنبطح لبعضها البعض ، في حال اللعب ، لكنّها تتقاتل في سعيها المحموم للتزاوج ورحت اتابع سلوكها ، حتّى يُشعشع ضوء الفجر، وتصبح وهي تلعق جروحها النّازفة.

براءة متّهم..

تعاني من الجيوب الانفية ، يتعالى صوت شخيرها ، زوجها يسأم من تكرار ايقاضها ، بسبب نومها العميق ، ومنظرها المقرف وهي تفتح فمها ، لتعويض هواء الشهيق الداخل الى الرئتين ، مما يضطره في كل مرة لنقل فراشه الى غرفة اخرى ، الرجل يتعاطف معها ويشفق عليها ، لكن الامر لايقتصرعلى هذه الحالة فحسب ، بل معاناته المستمرّة ومعاناة بناته الثلاث تتمثّل باضطرابها النفسي ، بسبب حالة فوبيا الحشرات التي تعاني منها زوجته .

****تراقبه وهو يتشبّث بالسطوح الملساء ، وعلى الجدران ، يلتصق بشعيرات ذاتية اللصق في ارجله ، ثمّ يخطو بتخفّي واختباء، ترتجف من الخوف ، جسمها يقشعر ، الوخز في اعصابها يتصاعد ، ، تغمض عينيها الا من فتحة ضيقة جدا ، تسترق من خلالها النظر اليه ، وهو يتحيّن الفرص ، يتصبّر طويلا، لاستغفال طريدته ، والانقضاض عليها ، يتقدّم ببطئ ، يواجهه الضوء ، فيبان الدم تحت جلده الرقيق , يغالبها القيء ، فتهرع الى الحمّام ، كما في كل مرة ، حين تلمحه وهو يلقي فضلاته فتسقط على الارض ، او يلحس عينيه بلسانه ، واحيانا تجده مقتولا مقطوع الذيل فوق مائدة الطعام.**

الصعوبات تتعاظم بمرور الوقت ، حتى صارت تثقل كاهل الزوج ، وتقتل مايتبقّى من صبره ، كثرة مراجعة الاطباء النفسانيين ، وصرف المبالغ الطائلة في جلسات السلوك المعرفي ، والعقاقير الطبية ، ولكن دون جدوى ، حتّى بلغ به الامرللتفكير بطريقة شيطانية للخلاص

منها ، يوميا بعد غروب الشمس يفتش عن الحشرات الزاحفة والطائرة ، يرش ارضية البيت والجدران بالمبيدات، ويلعن احيانا الشركات المصنعة لها لانعدام تأثيرها ، حتى صار يعتقد احيانا ان الحشرات والزواحف البيتية ، قد ادمنت المبيدات ولم تعد تؤثّر فيها ، يلاحقها ويستعمل نعله في قتلها ، يرصد ابو بريص في هذا الركن من البيت ، في المطبخ ، هنا حول المصباح ، هناك في الشباك العلوي ، حتى صار يفقد اعصابه، بسبب الوضع الذي يعيشه ، يصرخ بصوت عال يزبد ويرعد ويتوعد زوجته بالقتل ، يسمعه الجيران واحيانا المارّين من امام داره.

****ذات صباح تعالى الصراخ من داخل بيتهما ، وقال الناس انّ الرّجل قتل زوجته ، القى رجال الامن القبض عليه واقتادوه بتهمة القتل ، وتمّ ايداعه السجن للتحقيق معه ، لكنّه لم يمكث طويلا ، لأن تقرير الطب الشرعي أكّد ان موت الزوجة كان اختناقا ، وسببه انسداد المجرى التنفسي بأبو بريص مقطوع الذيل.**

أسير داخل الوطن..

قيدوني في الأسر ، غطو عيوني بالبرقع ، رشو الماء البارد على صدري ، ، للسيطرة على هيجاني وثورتي ، هم يشعرون بالثقة في ترويض شخصية حادة ، كانوا يقومون بترويضي ، كما يروّض الصقر ، يربطون احد اقدامه بحبل طويل ، ثم يطلقون له حمامة ، ، ولانّي اريد ان اكون سيدا ، حاولت ولمرات متعددة الافلات من الاسر ،

خمسة اشهر على تجرر الاحتمالات ، وانسداد الافق بوجه وجودي الضئيل ، وجسدي المشدود الى البلاط ، كجثة سقطت من حبل مشنقة ، تمر الشمس خلف الجدران الصّلدة ، اشعر بها ، اتحسسها ، فتجتاحني رغبة في الانبثاق الى اعلى ، بقوة تخرق السّقف. ولن تمنعني تلك الجدران من التجوال في الشوارع التي احبها، تلك الأماكن التي مشيت بها يوما ، واظنّ إن من تركتهم خلفي سيحتفظون بمكاني على تلك الأرصفة، ، سيهبط السواد في أكثر نهارات عائلتي إشراقا ،وانا بعيد عنهم ، ولو جاز ان لايحدث كل هذا في خيالي ، وقتها قدأشعر بأنّي محاصر ومريض وربما سأصاب بوباء المسافة، ذلك الذي لا يستطيع أحد التّخلّص منه ، سوى بالتصوّر المختلف والجميل في ذاكرة الطرف الآخر من الحياة .، ذلك أن" الإنسان لا يموت إلا حينما لا يتذكرهُ أحد"، في مرض المسافة أمنيات مُشدودة الى

يد السجان ، وقرقعة المفاتيح وهويشرع بغلق أبواب السجن وفتحها ، يشاركني أبسط تفاصيل الحديث، زميل استقبلني بتودد عند دخولي فصرنا اصدقاء ، يستمع احدنا للآخر الى تفاصيل دقيقة واحيانا مملة وروتينية، إن مجرد سماع تلك التفاصيل يجعلها تبدو ملونة، تنمو فتمنح قدرة على البقاء فترة اطول ، يسمع تفاصيل صغيرة واحيانا سخيفة ، يصغي لها باهتمام دون مقاطعة ، هذه التفاصيل تعدم المسافة ، وتشجّع على البوح ، ذلك أنّي أكافح للحفاظ على كل عالمي من الماضي، ولا أشعر بإذلال في مقاومة واقع الأسر.

للمسافة القدرة على استحضار الذكرى، وأعراضها الجانبية من الحنين والشوق، وهما يتفاقمان مع مرور الوقت، الوقت الذي يمر على قلبي وجسدي وملامحي، على كل شيء فيّ ، ويبقى الانتظار طفلا شقيا، وكما ان لكل شيْ ذروته ، فإنّي سأصمد أمام أوجاعي ، كلّما جنّ الليل ، اشعر وكأن الهواء أصبح صلبا كالحجارة ، يصعب عليّ تنفسها، تدخل مع كل شهيق ولا تخرج، تجثم على صدري، فلا اجد راحة الا بالبكاء.

بكاء لا يُعدي ولا يُميت، يتطفل على ذاكرتي ويستحلي دائما الجلوس مع وحدتي .إنه تلميذ نجيب يعرف ما هو الماضي الذي انتقيه للمراجعه ـ، واحتفظ به في ذاكرتي من جديد .، في البكاء أمل بأنّه ما زال لديّ قلب ، رغم كل تلك القسوة التي تحيط بي.

.يوما ما سأخرج ويبقى السجان ، فالعدو لم يبحث عن حريته عند اعتقالي، إنه فقط يحاول حرماني من الحرية التي أملكها ، حتى في أضيق الزنازين، ويفشل كلَّ مرة في حرماني من الحنين والغناء والكتابة وأشياء أخرى يعجز عن فهمها .العدو يعجز عن اعتقال أشياء كثيرة ، ذكرياتي ومشاعري تجاه الوطن ، سخريتي بافعاله المشينة ، عنفواني وخيالي الذي يخرجني من غرفة التحقيق في اشد اللحظات تعذيبا ، ليس بيد العدو ما يكفي من الأسلحة لوقف تدفق الوطن في مهجتي، لا يستطيع اعتقال كل هذه المشاعر ، تلك الذكرى والحنين والشوق وكل الأشياء التي تمنحني القوة باستحضارها.

وحين بلغت الاربعين ، شعرت بالعجز فقلت لنفسي لاتنتكس ، كن كالصقر ! اعتكف صائما في اعلى الجبل ، اضرب بمنقارك المعقوف صخرة صلدة ، اقتلعه من جذوره ، ثمّ اصبر على طعامك المعهود ، وانتظر حتى ينمو من جديد ، اعتزل الفضاء ، ، خمسة اشهر ، تناول الديدان دون ان يراك احد ، فتفقد هيبتك ، اكسر مخالبك التالفة ، لتبرز بديلا عنها مخالب قوية ، لن تتمكن من الغطس في الفضاء وراء فرائسك ، انتف ريشك ، فلقد اثقُل جناحاك ، وصار يلتصق بصدرك ويعيق طيرانك. وسوف ينمو لك ريشا جديدا ، اليوم أُطلق

سراحك ،وكُتبت لك حياة جديدة ، كنُ سيّدا كالصقر، اخترْ طريدتك ، ارصدها بعيون ثاقبة من بعيد ، ثمّ اغطس نحوها بسرعة ، فإنّ مملكتك الفضاء الفسيح.

شبابيك الزمن..

الشباك رقم (4) يرتفع إلى مستوى الرأس ، قاعة الانتظار مكتظّة بالمراجعين ، احدهم اضاع تسلسله المكتوب في قصاصة ورقية ، اخذها بصعوبة من شبّاك رقم (1) ، ، ثمّ إنه فقد الامل بالعثور عليها ، ، كانت الارجل متزاحمة .ولم تترك فراغا للنظر

والحل انّ ينتظر ظهور الرقم (121) ، ليرى ان كان احدهم قد عثر على قصاصته ، او يخبر الموظف المختص انه اضاعها ، الجميع تكاد حدقاتهم تسقط على الارض ، من شدّة التركيز في شاشة معلّقة على الحائط ، ينتظرون ظهور تسلسلات ارقامهم ، هناك المزيد من الزمن يضيع ، ، في نبش عمق الذاكرة ، عن ضياع الزمن ، ، زمن الطفولة سرق منّي اثداء امّي ، بيت الطين بلا زمن ، كنّا ندخل الصف من خرق في الجدار ، سرق الزمن ابواب مدرستنا ، الوقت يمضي ، على حمامة تطير لتختفي في كبد السّماء، ثمّ تعود بعد غياب طويل ، تحمل بمنقارها عودا رفيعا ، وهكذا تجمع الايام اعوادا ، لتبني لغيرها عشّا.

-لاعليك ، في يوم ما ستكبر ، ويتحول الطين ذهباً ، تبيض الحمامة فوق ناصية الشّباك ، ترقد عليه اياما طوالا . حتى تخرج افراخها ، تزقها لتنمو ، وتنمو....

-عليك ان تسلك الطريق النيسمي الذي يمتد في بستان النخيل ، بين البيت والمدرسة ، اسلكه كما كنت صبيا ، حتى نهايته توقّفْ عند الحمراوية ، في رجوعك من المدرسة ، هل ترى جذعها المتعالي ، انظرْ الى العذوق المتدليّة من عنقها ، وحتى يحين موعد الرطب.

الزمن تضيق حدقاته ، حتّى كأنّ شاشة الحائط تكاد تنطفئ ، اصاب نظري الغواش ، احدهم اخبرني ان تسلسل معاملة تقاعدي عن الوظيفة ، قد ظهر في الشاشة ، تدافعت بين الاجساد الملتحمة ، حتّى وصلت الشباك رقم 4 ، طارت افراخ الحمامة ، وتساقط الرطب.

حالة احتراق...

أوصته زوجته ، قبل خروجها مع اخيها , ان يشوي الدجاجة ، في فرن الطباخ ، ليتناولها مع اولاده ، كوجبة غداء ، رفع قدّاحة المطبخ ، ذات الذراع الطويل ، مرر فوهة خروج اللهب ، نهاية الذراع ، الى المشعل الاسفل ، طق "" اشتعل الفرن ، وبعد بلوغ درجة الحرارة الحد المقرر ، دفع بالدجاجة الموضوعة في صينية الى داخل الفرن ، واغلق عليها باب جهنّم ، تفحّص القدّاحة ، يُقلّبها بكفّه متعجّبا بصناعتها ، قرأ عبارة بارزة على احد اوجهها) صنع في الصّين (، فاصابه شعور بالحسرة ، وراح يسرح في الاحلام ، رأى شوارع مدينته مبلّطة ، على جانبيها اشجار منسّقة ، زهورمتعددة الالوان ، تكسو المساحات في الجزرات الوسطية ، مصانع عملاقة تستوعب العاطلين ، مروج خضراء ، على جانبي الطرق خارج المدينة ،فلّاحون يستخدمون مختلف المكائن والتقنيات ، لانتاج المحاصيل الزراعية.

في هذه الاثناء ، سمع صوتا غريبا) طيييط (، ولده سعيد يّصاب عادة بانتفاخ بطنه ، اذا فرغت من الطعام ، واحسّ بالجوع ، لكنّه عاد مرّة اخرى الى احلامه ، رأى في مدينته ، جامعات ومدارس متطوّرة ، ملاعب ، ووسائل نقل حديثة.....

طيييييييييط..

طيييييط

طط

احترقت الدجاجة.."

ندم..

يجتاحني النّدم ، كدخان كثيف ، اسود ، يهمي بالسّخام ، يستولي على ضميري ، ويزداد عذابي أكثر ، حين يتهرّب زوجي منّي ، كي يلملم اشتاته ، من أثر الصّدمة.

-اقتلني فلم اعد احتمل العذاب!

لكنّه يمضي الى وحدته , يدسُّ رأسه بين ركبتيه ، فأسمع نشيجه ، وكأنّه يُقطّع احشائه ، تسألني طفلتي : مابه ابي ياأمّي ؟ فأُحار كيف اجيبها واتمنّى لوتبلعني الارض.

اخيرا قرر زوجي ، مغادرة المدينة ، والعودة الى القرية .في محطّة انتظار القطار، هو يُمسك الطفلة بيد ، والحقيبة باليد الاخرى ، بينما اقف انا على مسافة منهما ، قررت بداخلي ، ان انقذه ، وانقذ نفسي من العذاب ، بأن اركض باتجاه القطار ، قبل توقفه ، والقي بنفسي على سكته ، فيدهسني...

انظر الى الافق البعيد ، اترقّب ظهور وجه عربته، وسماع صوت النحيب ، يصدر عنه ، وسعال الدخان من انبوبته.

اجول ببصري الى اعلى ، ، اسراب من الطيور تجوب الفضاء ، اتخيّل انّي اطير ، اهرب معها ، لكنّي اتحسس جسدي ، فأجده ثقيلا ، كأنّه كتلة من حديد.

لم يكن جسدي بهذا الثقل ، قبل الحادث ، حادث تحوّل الى عذاب ، لوعة ، مرارة بطعم العلقم ، كان الشيطان يترصدني ، يتمثّل لي بصورة شاب وسيم ، مثير ، يقف في باب شقته المقابلة لشقتنا ، يرصّد حركتي ، كلّما اخرج لالقي النفايات ، في سلّة القمامة ، كنت في البداية ارفضه ، أميل بوجهي عنه ، كي لاأنظر اليه ، لكنّه بمرور الوقت ،اضحى يجذبني اليه ، نتبادل النظرات ، ثمّ الابتسامات ، والجاذبية بيننا تشتد ، كان زوجي كالعادة ، يستيقظ مبكرا ، يأخذ بيد طفلتنا الى المدرسة القريبة ، قبل ان يذهب الى عمله ،وابقى وحيدة ، أُشغل نفسي بتنظيف الشّقة ، والقيام بالفعاليات اليومية ، من غسل الملابس ، مسح البلاط ، تحضير الطعام ، ثم اجلس لمطالعة الكتب ، ساعتها ، ضحى ، في وضح النهار ، كان الممر بين شقتينا خاليا ، دخل خلفي مسرعا' اغلق باب الشقة ، باغتني بالقبلات ، كنت ادفعه عنّي ، فيعود لاحتضاني وتقبيلي بعنف ، واخيرا استسلمت له. +++

في هذه الاثناء ، كان زوجي قد عاد لأمر ما ، ورأى بأم عينيه مسرح الخطيئة ، خرج الشيطان مسرعا ، بينما وقف زوجي مصدوما ، مذهولا ، مرتبكا.

القطار قادم ، أسمع صوته يقترب ، ينفث الدخان ، من انبوبة في رأسه ، يقترب اكثر فأكثر ، ركضت باتجاهه باقصى سرعة ، حتى صار بيني وبين الموت خطوة ، خطوة واحده ، وينتهي كلّ شيء.

البرزخ الابيض..

نظراته تنبت حول المنارة ، اجنحة تتدافع مع الرياح ، تبتعد عن بعضها ، فيمكن تخمين اعدادها ، ثمّ بحركة دورانية رشيقة تعود للاندماج ببعضها البعض ، لتصير الى كتلة واحدة ، فيضيع العد ، حمائم بيضاء ، تطوف حول المنارة البيضاء ، ثمّ ترجع فتهبط فوق القبّة البيضاء ، يجول ببصره الى اعلى ، يمينا وشمالا، غرف ابوابها مقوسة ارتفاعاتها اقل من قامة رجل قصير ، يخرج منها اشخاص يرتدون الزي الابيض ، الافغاني ، الهندي والباكستاني غالبا ، ثم يعودون الى الداخل بحركة تشبه الى حد بعيد حركة الحمائم في ابراجها ، من باب الشيخ الى القسم الداخلي لمبيت الطلبة ، في منطقة الكسرة ، التي تتوسط المسافة ، بين الباب المعظم ومنطقة الاعظمية ، كان ينقاد لأقدامه وهي تمضي به لتقطع تلك المسافة ، وبين الفينة والاخرى يُخرجُ من جيبه حفنة من الحلوى ، مغلفة بالورق الفضّي المزركش) الجُكليت (ينظر اليها فتنهمر دموعه ، يخرجها مرة اخرى ، ينظر اليها فتنهمر دموعه، ويبقي على هذه الحال ، فترة من الزمن ، حال الدراويش ، مشاعرهم تترقق بالترويض ، فتصير عرضة لتدفق الحب ، ، تتأثّر بسرعة فتبكي ، وقفنا انا وهو معا، ننظر من خلال الشباك، الى مرقد الشيخ ، القفص الحديديّ المطليّ بالذهب ، القبر مغطّى بالقماش الأبيض ، موشّى بالخيوط الذهبية ، يتراءى لي وأنا أُطيل النظر، وجه الشيخ الاشهب ، ذو اللحية البيضاء ، والعمامة البيضاء ، وجهه يشع بالنور ، ويده البيضاء تمتدُّ الى صاحبي ، لتعطيه حفنة من الحلوى ، تناولها منه بيدين راعشتين ، ثمّ توارى مسرعا عن الانظار ، وفي اليوم التالي التقينا...

فحدّثني عمّا جرى له بالامس.

بئر الذكريات..

في الممر المؤدي الى قاعة المحاضرات تتحرّك الاجساد، تتجمّع حول بؤرة تتشكّل عفويا ، تنبعث منها العطور الفواحة ، والروائح المثيرة ، تتقارب الاجساد لاشعوريا ، للالتصاق ببعضها ، وتتنامى الرغبة الى الاندماج ، وفي لحظة ، نظرة معينة، خجل ما ، كلمة ما، تأفف يصدر من احداهن ، مشاعر الحياء ،العرف الاجتماعي ، الحلال والحرام المترسّخ في النفوس ، تتباعد الاجساد عن بعضها ، وينصرف كل طالب وطالبة الى شأنهما الدراسي.

ذكريات الجامعة ، الاسرار الكامنة فيها، تجعلنا نتجررها كلما يتقدم بنا العمر، ذكريات يتقادم عليها الزمن ، لكنها تبقى طرية ، طازجة ، نتناولها بتلذذ ، متعة ، واحيانا بندم ، شعورك الآن بالاشباع العاطفي ، عنصر مهم ، في ردم الذاكرة العميقة ، التي تختزن المتعة او الندم ، اواعادة فتحها من جديد.

ذات صباح بهي ، مشرق ، من صباحات الباب المعظّم في بغداد يدخل الطلاب والطالبات ، فُرادى وجماعات ، الى الحرم الجامعي ، يتوجه كلٌ الى كلّيته ، في الممر المؤدي الى قاعة المحاضرات ، تستند بظهرها على الحائط ، تلقي التحية وهي متبتسمة ، صباح الخير ، صباح النور، ونظرات متبادلة ، كانت نظراتي تلامس تلك الشفاه الحمراء ، تلتصق بها، تتحسس رقّتها ، ،حمامتان حطتا على حائط السياج الخلفي ، هما من رفعتا غطاء الذكريات ، اتذكرها اليوم ، ودون ارادة منّي ، اغوص في الاعماق ، اشتهاء ، عناق ، لهاث ، تشمم العطر، ذَكَرِ الحَمَام مدّ منقاره ، ليتداخل مع منقار انثاه ، تعشّق منقاراهما ، لامس لسانه لسانها ، امتص رضابها ، توتّر، فوران الدم في العروق ، هنا هبطتُ بحبل الذاكرة الى هناك ، حيث الاعماق ، حتى لامست قدماي القاع ، وابتلت بالماء.

صائد الارواح...

كنا نذهب بعيدا ، نترقّب وقت الغروب، مواقد النار ، يحفرون لها اخاديد منتظمة ، ثم يضعون عواميد الحطب ، هي من سيقان الاشجار اليابسة ، يشعلون فيها النار ، كنا ننظر اليها وهي تضطرم ، ويخوض ضوءها في الظلام ، ليبعث في النفس بهجة الحركة في الاشياء ، حينها وفي عمر الصبا ، كان الامر لايتعدى في عقلنا الصغير ، هذه الحركة الدائبة للرجال ، والنار المشتعلة تحت قدور الطعام الكبيرة ، واجتماع الناس حلقات على

آنية كبيرة لتناول الطعام ، كنا لانفرّق بين الوليمة والوضيمة ، في تخفيف الم الجوع ، والاستمتاع بتناول اللحم المطبوخ ، فقط في المناسبات والاعياد.

وكلّما يطرق اسماعنا خبرا ، انّ فلان في القرية المجاورة ، قد انتقل الى رحمة الله ، نتبع خطى الرجال ، فنروح خماصا ، ونعود بطانا.

لم تكن فكرة الموت حينها ترعبنا ، لأنّنا لانعلم ماذا يعني ان يموت الانسان ، كما ان اللذين يموتون كانوا فُرادى ، فرد هنا وآخر هناك ، وفي فترات متباعدة.

يتقدم العمر بنا فنكبر ، لكنّ فكرة الموت نفسها تبقى غامضة ، متمردة على أي تعريف ، ولايسع حقيقتها الّا من يموت ، ولم يعد الينا احدا بعد موته ، ليخبرنا بما جرى له .حتّى بلغ عمرنا خدمة العَلَم ، وجبهات القتال ،

علمنا ان الموت يأتي ، مع اصوات المدافع والقذائف ، مع الرصاص المندفع بقوة ، والشظايا المتطايرة ، هو يبتغي ساحات المعارك ، ففيها صيده الثمين ، وبامكانه ان يستتربالدخان ورائحة البارود ، ليقتنص الارواح ، يجمعها ويطير بها مبتهجا ، لانه ادّى واجبه على اكمل وجه ، بينما تبقى الجثث ، تنتظر من يحملها على ظهورالسيارات ، ملفوفة بالعَلَم وهي تُسابق الريح والدموع ، لتصل الى جميع المحافظات.

ايامها كنّا مدفوعين للموت ، نغزوه خارج حدود الوطن ، واليوم هو يغزونا ، في شوارعنا ، في حاراتنا ، في بيوتنا ، نشعر به يقترب واحيانا يتنفس في وجوهنا او نسمع حسيسه في فراشنا ، يتحقق في غيرنا ، فيوارى الثرى ، ونقف نحن الباقون في الطابور ننتظر قدومه.

رؤوس وفؤوس...

رأيته معلّقا على اغصان شجرة يابسة ، في اعلى الجبل ، وقد انغرزت بعض اغصانها في عينيه ، يسيل منها خليط من قطرات الماء والدماء ، قلت في نفسي : كيف لوتدحرج متسارعا مع صخرة سيزيف ، حتى اذا توقّف هرسته ثمّ استقرّت فوقه ، تتطاير افكاره من اعشاشها المبعثرة ، اعشاش لم تعد صالحة للسكن ، افكار تهبط كالفؤوس ، على مكامنها

،تثير القلق ،الارهاص ، الضغط النفسي ، الخوف والأرق ثقيل هو على كتفيه ، يتحامله اينما حلّ او ارتحل ، يقرأ) المانشيت (العريض في الجرائد ، الرأس وقّع عقودا لمشاريع ضخمة ، نامت المشاريع في العقود ، وخرجت الاموال خارج الحدود ، ويقرأ : تفجيرات ضخمة في الحشود ، مشهدها دخان اسود كثيف ، وشظايا الحديد ، تقتلع الرؤوس ، وتنثر الاشلاء في الطرقات.

) لاتسرق ، لاتقتل ، تلك كلمات كانت مقدّسة في غابر الزمان، إذا سمعها انسان ، جثا على ركبتيه ، واحنى رأسه ، وخلع نعليه.ويجيء طاغية له روح ابليس ، يتسلّط على الماضي ، ويجعله معبرا لاقدامه ، وشعارا له.*(

تعصف به الافكار ، ترهصه ، يتعالى فيه الضجيج ، يضعه على الوسادة ، يغمض عينيه على احداث يومه، في كلّ يوم ، يمرر قطيعا من الخرفان ، خروف يلي خروفا كسحابات بيض ، يبدأ العد3.2.1 ، .....حتى يغيب الخروف ماقبل الأخير في السّديم.

***من كتاب هكذا تحدّث زرداشت للفيلسوف الالماني فردريك نيتشه.**

فيوضات..

ذلك المسافر من أثقال التراب إلى معارج الملائكة ، صوته غريب عتيق ، إذا حزن فكأنما يجلس على صدره جبلٌ، وإذا اغتاظ يتنفس جمرا ، يجلس فوق منبر الأزمنة ، ليقص على الغيوم العابرة ، ماتخبأه الأقدار، ، يعرج في الملكوت ، تُفتح له بوابة الروح ، يسمع حسيس الغيث ، واجم حين تكتحّل النجوم بالبرق ،يتعالى نشيج الرعد في أُذنيه ، فيبكي مطرا ، وجد لوحا كُتبت فيه تلك الكلمات ، يبحث فزعا عن كاتبها ،ولسان حاله يقول:

فواعجبا من علّة كلّما ارتوت - من السلسبيل العذب زاد ضرامها

وبرد رضاب سلس غير انّه - اذا شربَته النّفسُ زاد هيامها*

_يجودُ بماءِ عينِه على كُلّ ظمآن ،بعد ان أخرجَ الدّنيا مِن قلبِه، وبسطها فِي كفّه ،يجدُ فِي كُلّ إنْسان شَتَاتِه المَفْقُود ، يرسم على الوجوه الابتسامات ، ليداوي حزنه بفرح الآخرين ، يتناقل الناس حكاياه ، يقولون انه يتواجد في اكثر من مكان ، في آن واحد ، لكنّه يتواجد

احيانا في دارالكتب ، ليلا ، فتح الباب على روائح مبهرة ، تنبعث عن خزانة الكتب القديمة ، وجهه بين بياضين ، ينبعث عنهما النور ، ، بياض لحيته وعمامته ، يجلس بوضع التقديس ، وبين كفيه كتاب ، فتحه على اوّل الكلمات ،وقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ،ثمّ غاب عن الانظار.

***--------**

***بيتا الشعر لابن الدباغ الانصاري توفي 696 هجرية.**

الساحر والجرّة..

محض خيال * كالواقف امام مرآة كبيرة ، أرى حركتي في الامكنة ، وقفتُ انا والفضاءات المختلفة ، كلما تبتعد ابتعد ، وكلما تقترب اقترب ، حتى تطابقت الصورتان في صورة واحدة ، نفْسي تنفصم ، تنشطر وتتعدد ، في عالمها الرهيب ، وكأنّي في غابة كثيفة ، على بعد اميال من القرية ، ولجتُ جوف شجرة شامخة ، يبدو كالكهف في عمقه ، تخرج من بوابته الادخنة ،ارشدني اليه نفر من شياطين الانس ، يقطنه ساحر هندي ، القيتُ عليه التحية فردّها ، وهو يذرذر البخور فوق طست النار ، ويتمتم بكلمات غير مفهومة ، قال تقدّم ، واجعل رأسك يتدلّى في فوهة هذه الجرّة ، جرّة كبيرة تتوسط الكهف ، اصابني الرعب ، وانا انظر اليها ، ترددت عدة مرّات ، وهو يكرر عليّ ، ان لاتخفْ ، ادخلت راسي في فوهة الجرّة ، وانا بين خائف ومتردد ، التمس عمقها ، فلا اجد قرارا له ، غير الظلام الدامس ، غطّى رأسي واكتافي ، برداءه المفعم بروائح مختلفة من البخور ، وهو يردد تعويذاته المبهمة ، وماهي الا لحظات ، حتى وجدت نفسي في عالم آخر، روضة تتوشّحها الخضرة ، مسالكها مكللة بشتى انواع الزهور ، عطور فوّاحة ، وروائح مثيرة للشهوات ،اجساد مكتنزة ، وجوه ممتلئة ، نساء بشتّى الالوان ، يزدهين بالحسن والجمال ، تحلّقنّ حولي ، وكل واحدة منهن تحاول الامساك بكفّي ، لمسات ساخنة ، ناعمة وليّنة ، امسكتْ احداهنّ بكفي ، واخذتني الى مخدعها،اجلستني على فراشها و.....و.....ف.

شعرت بالبلل في سروالي ، فأخرجت رأسي من فوهة الجرّة

فساد الآلهة..

ترقص آلهة الحرب ، على فراشها المسكون بالخوف ، ، ، يطغى الصدى المدوّي للقيثارة ، على صريخ الاطفال العراة ، ، يتقافز الموت هنا وهناك ، ليلتقط روحا ، ومع قدوم الآلهة ، تسمع في فضاءات الحُلُم ، اصوات صراخهم، يختلط بصهيل الخيول الغازية ، تتناوب الالحان مابين القيثارة السومرية والصهيل ، اصوات تستجلب معها الرعب , وجدت نفسها مأمورة في توسّط حلقة الرقص ، تهزُّ جسدها ، توشك اثدائها ان تسقط على الارض ، من شدّة الاهتزاز ، عيون الآلهة تريد ان تأكلها ، ارادفها المغرية تترجرج، ستة عشر عاما وهي ترقص على الألم ، يجتمع الآلهة في دارها عنوة , يتناولون لحوم لأطفال الطرية ، وخمور الدماء المعتّقة ، يستمتعون برقصات الارامل ، وألههم الاكبر يناديهم من العالم السفلي ، بعد ان تجرّع السّم منتحرا بحقده ، ان اشربوا حتى الثمالة ، ثم تناوبوا على جسدها ، وبعد ان .....،، افقعوا عينيها الواسعتين ، كي لاتدرك الضياء.

نهاية كاتب..

ساقت الايادي الحنونة عربته ، الى كرسي خشبي عتيق

فتح مسنديه لاحتضانه، ، وعزف الصرير موسيقى الاحتفال بجلوسه ، يُقلّب الوقت في كفّيه المرتعشين ، يتفحّص ملامح جلدهما المكرمش ، من اثر السنين ، يداور افكاره الضاغطة على عقله ، الواحدة تلو الاخرى ، يحاول ان يعطّل سرعتها بالهروب ، يتحايل عليها ، واحيانا يتوسّل بها حد البكاء ، الفكرة الاولى ان يحمل الفأس والحبل ، ثمّ يتوجّه الى بستان النخيل ، يحتطب الهجير، يتنفّس السراب ، ليعود بحزمة تأكلها النار ، فتخرج من تنور الحزن ، ارغفة من خبز الضياع ، تعتاش عليها افراخه ، شَعَرَ هنا بالضعف ، ارتعش قلبه غضبا ، اخرج سيف اجداده من الصّدأ ، فركه برمل الشجاعة والاقدام ، فركه بشدّة ، حتّى صار يُرسل بريقه ، الى عين الشمس ، امتطِ الآن ظهر فرسك الصّاهلة ، ولاتنسَ ان تلبس درعك ، لتحمي به صدرك ، من سهام المتربصين بك ، أسلك طريق النهر، اجعلْ النهر

يحمي يسارك ، دع فرسك تسابق الريح ، حتى تبلغ خيوط الشمس المنصهرة ، سبائك من الذهب ، املأ صندوقك الخشبي العتيق ، احرص على اخفائه ، عن انظار قاطعي الطريق ، وحين تصل الثّراء ، سينتهي بأفراخك العناء.

فكرة اخرى: ارزم مؤلفاتك من الكتب ، احزمهاعلى ظهرك المحدودب ، هي ثقيلة بما تحوي ‘من عذابات ، من كآبات ، ارهاصات ، حكايا حب ، مفخخات ، موت عرف طريقنا ، مكث طويلا عندنا ، بظلّه الثقيل ، نثر في مقابرنا ، حياة اخرى ، نادى على زوجته العجوز،ان اجلبي لي ماتبقّى من الكتب ، غابت قليلا داخل البيت ، ثمّ عادت لتخبره ، انه لم يبق للبيع الا كتابه المفضّل ، هورواية) دون كيشوت (، طلب منها تحويله من الكرسي الى عربته ، ودفعها باتجاه شارع المتنبي .

المصدوم....

كان في طفولته، يراقب مسارات النمل ، في حركتها الدؤوبة ، في تعاقب افرادها ذهابا وايابا ، في سرعتها ،كما في كلّ مرّة ، كنت اسمع قهقهته ، فأتوجه نحوه لأكتشف ، انه يضحك كلما تصادمت نملتان ، نملة ذاهبة ونملة عائدة على نفس المسار.

احدهم عبّأ المداخل ، الى قرية النمل ، بالبارود ، ثمّ مدٌّ سلكا وطلب منه الابتعاد ، اصابته الصدمة ، من مشهد الاعداد الهائلة لجثث النمل المتناثرة في محيط حفرة عميقة احدثها التفجير....

التزم الصمت ، وفقد الشعور بالمرح ، كانت مشاعره تتبلّد ، فتضيع ملامح وجهه ، بين الكآبة والحزن ، والدموع المتهاطلة ، قالت طبيبته النفسية ،انّه كلما يريد ان يتكلّم ، يشعر ان الكلام يختفي ، في ثقوب سوداء تنطبع في خياله ، تشبه الى حد ما ، الثقوب التي تؤدي الى قرية النمل ، يخيّم عليه الصمت ، لفترات طويلة ، حتى موسم الغيوم ، يدلق لسانه لقطرات المطر ، تتساقط علية ، فينطق...

اسقاط..

نقل لي صاحبي ، انّه يعاني الارهاق من جسده ، وذكر لي ، انّه فكّر باسقاطه عن كاهله ، واطلاق سراح نفسه ، تأمّل وهو يسافر بها ، عبر الاثير ، شيء ما..هي في صدره ورأسه ، واحدة هي هوائية ، تعي الجسد وماحوله ، تنقاد ، تطاوع ، ممكن ترويضها للخروج ، بالتمارين المتكررة.

التمرين الأول:اعتزل الناس ، انفرد بها ، في غرفة هادئة ، دافئة ، بعد انتصاف الليل ،اغلق النوافذ ، اطفأ المصابيح ، قطع جميع مصادر الضوء والوميض ، جلس على كرسيٍّ بمسندين ، أخذ نفسا عميقا ،حررها من مشاغل الحياة ، تأمّلها ، قطع حركة جسده ، دقائق ، فقد الاحساس بما حوله ، ادركها تتسع ، هوائية ، خفيفة ،انطلقت ،بات يرى جسده من الخارج ، جثّة ، اصابه الخوف من الموت ، صفع خدّه ، عاد مسرعا الى جسده .

قلت له ، ماذا لوكنت تمسّكت بشجاعتك ، لتطيل فترة وجودك خارج الجسد؟

قال فعلتها في التمرين الثاني ، واستطرد يصف لي ماجرى له.

التمرين الثاني:

ترك جثته خلف ظهره ، وراحت نفسه تجوب الاثير ، هناك التقى بنفوس كثيرة ، يعرفها ، واصابه العجب لأنّه وجدها تتحلّى بالصدق وهي خارج الجسد ، بحث عن نفوس القديسين ،سألهم عن حياتهم الجسدية ، اخبروه انهم فاسدون ، لكن الناس هي من تقدّسهم ، عن القتلة لِمَ يقتلون ، كان جوابهم لاندري ، لكنّ سيدنا امرنا ، نفوس كثيرة ، بدت له ، في مرآة كبيرة ، كان يعي ان هناك عالما آخر للنفس ، وراء المرآة ، اذا وصل اليه فإنّه لايتمكن من العودة.

في فجر اليوم التالي ، سمعت صراخا وعويلا يصدران عن جهة بيته....

لعنة الجوع..

رأى طفولته في ثقوب ثوبه المهلهل ، من الحرمان ، من الحلوى في ايدي اقرانه ، تكاد حدقات عينيه تسقط على الارض ، وهو ينظر اليهم ، يتقاطر لعابه ، ويسيل على الاسى ، يرتجف من الموت ، خائفا ، كطائر كسير الجناح ، سقط مجهدا في الصقيع . يصرخ في الناس ، اغيثوني انّي اموت جوعا، فلا مغيث.

ايها الكاتب ، تحاول الانفلات عن انياب خيالاتك المدببة ، تقول :ان الخوف من الموت ، هو اشدّ رجفة من الصقيع ، والمرض الفطري قد يحيل الطفولة ، الى تمثال من الحجر ، نعم " ، بدأ الطفل جلده يتقشّر ، ثمّ رويدا رويدا بدأ يتحجّر ، حتّى صار تمثالا ، حمله ابوه على كتفه ، الى سفح الجبل ، حفر له حفرة ، ودفنه عند احمرار الشفق.

شعر بالدفئ ، حين جرت في عروقه حرارة الطين ، فتمددت جذوره ، وبمرور الوقت ، دفع برعما يشق التراب الى اعلى ، ويلحس الهواء ، الشمس وهبته الاخضرار ، فبدأ النسغ يصعد ، فينمو وينمو ، ثمّ يتعالى على ساقه.

تحوّل الطفل الى شجرة توت ، صار ظلّها يتسّع ، ويشتد سواده ، حتى ثمرها صار شديد السواد ، لكنّ طعمه كطعم الدم ، ورائحته كرائحته ، ومن يتناوله يشعر برغبة في الصّراخ ، اصاب الصراخ جميع اهل القرية الطينية ، حتى بات كلّ واحدٍ يصرخ بوجه الآخر ، حين يلقاه ، اغيثوني....

لا ياصاحبي..

تعاهدنا على الوفاء لبعضنا ، كان يمرُّ كسحابة يرافقها الأزيز ، تجول في صدري لبعض الوقت ، اتنفسها ، فتستمطر الذكريات...

اطفال يقتلهم الجوع والحرمان ، يرتجفون من الخوف ، كلّما تزلزلت الارض بفعل البراميل المتفجّرة ، براميل معبأة بالحقد ، تسقط من السماء ، لتنفجر على الارض ، فتحيل البيوت والمنشآت الى انقاض وركام ، وساكنيها من الاطفال والنساء الى جثث ميتة تحت الانقاض ...

تفارقني ؟

كلا لن افارقك..

سأتبعك كما لوكنت ظلّك..

اذن دعنا نتجوّل قليلا في مدينة الاشباح ، هنا كان المسرح ، يرتاده المثقفون من طلاب الجامعات واساتذتهم ، والعوائل المثقفة ، هناك كانت الاسواق تعج بحركة المتبضعين ، في تلك الناحية حديقة الملاعب ، اتذكر كيف كان الاطفال يلعبون ويمرحون؟ ، هذا يضحك وهو يتأرجح ، او يتزحلق ، واولئك يدور بهم دولاب الهواء ، وآخر يقود سيارة الملعب الكهربائية ، هناك كانت المكتبة العامة ، قبلة طلاب العلوم ومدرسيهم ،يستعيرون منها الكتب ثم يعيدونها...

يقولون ياصاحبي ان مدينة عامرة باهلها كانت هنا!

المدينة العامرة تحوّلت الى اطلال ، الاشباح تخرج من بين الانقاض ، ملثمة بالسواد ، شبحٌ هنا ، شبحٌ هناك..كلاب تبحث عن بقايا الجثث ، القطط التي كانت اليفةً تحوّلتْ الى حيوانات مفترسة..

أبعد كل هذا الذي جرى تفارقني؟

كلا .. لن افارقك فأنا اكثر وفاء منك ايها الحزن.

الفناء..

حازعصفور على وداد القمر، انبرى يزقزق كلّما ابصر نوره ، وحيدا يعتزل، حين فاض العشق في قلبه ، على غصن بعيد ، لئلّا تختلط بسمعه زقزقات اقرانه ، فيغيب في صدره القلق ، يريد ان يسمع صدى صوته ، ان يعرج وراء نفحات حلمه ، نياط قلبه صارت اوتارا ، تحرّكها الروح ، الى تراتيل عشق ، ثملا يتسلّق معارج النور ، ينتشي ، فترقص اغصان الاشجار لنشوته ، ترقص ، تتمايل طربا ، هو غارق في الملكوت ، ولا يدرك مايحاك له

على الارض ، من رائحته ، من ترنيماته ، قدره يقترب ، يتسلل بين الاحراش ، يزحف على فراغ موحش في بطنه ، تتمدد عضلاته وتتقلّص ، ، لتصنع اقواسا تندفع الى امام ، في زحفه المنساب شهوة للبيض والعصافير ، حتى يبلغ جذع تلك الشجرة ، يبذل جهدا مضنيا ، في التسلّق الى اللذائذ ، يلتفّ حول الجذع ، يتقلّص..ينبسط .. يندفع ، حتى يبلغ الغصن ، يلتفّ حول الغصن المرتعش ، يندفع بصعوبة ، يصل في لحظة اكتمال البدر، هنا..لامس قلب العصفور بهجة النور ، ودخل جسده الفراغ الموحش للأفعى.